الموريسكيون
تاريخهم وأدبهم

دكتور
جمال عبد الكريم
قسم اللغة الإسبانية وآدابها

الناشر
مكتبة نهضة الشرق
جامعة القاهرة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الموريسكيون

تاريخهم وأدبهم

دكتور

جمال عبد الكريم

قسم اللغة الاسبانية وآدابها

الناشر

مكتبة نهضة الشرق

جامعة القاهرة



اهـــــــــداء

الى روح والدى الطاهـــرة

والى اخوتى الاعـــزاء

والى اولادى الاحباء **اوسكار كريم وثريا استيفانا**

وفـــاء .... وتقـــديرا

وامـــلا .... ونكـــرى

جمـــال



الموريسـيكيون

تاريخهـم وأدبهـم

مقـدمة

نستعرض فى هذا البحث تاريخ الموريسكيين وآدابهم فى فترة تمثل مرحلة هامة من آخر مراحل التاريخ الأندلسى (الأخير) والتى تنتهى بمأساة المدجنيين وطرد الموريسكيين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م • وأحوالهم السياسية والاجتماعية والثقافية قبل وبعد قرار طردهم من اسبانيا نهائيا الصادر فى سنة ١٦١٠ م ، والنتائج التى ترتبت عليه بعد خروجهم ، ومعاملة السلطات الكاثوليكية لباقى المسلمين الذين ظلوا فى الأندلس يعاملون بقسوة وبأبشع الأساليب والطرق للقضاء على البقية الباقية من الأمة الاسلامية فى الأندلس • وتشتمل هذه الدراسة على قسمين : القسم الأول : « تاريخ الموريسكيين » وتدوين الأحداث والوقائع التاريخية معتمدين فى هـذه الدراسة على المراجع الأوربية والعربية التى تتناول قضية الموريسكيين باعتبارها قضية شعب تحالفت ضده كل القوى العنصرية والدينية لابادته • وقد تعرضنا فيها لأقوال المؤرخين والكتاب والأدباء لهذه الفترة وأحوال الجماعات الاسلامية فى الأندلس واكتفينا فى هذا القسم بعرض الموضوع عرضا تاريخيا شاملا جوانب متعددة من البحث • أما القسـم الثـانى ، فيختص « بأدب الموريسكيين » الـذى أجمعت الآراء على قيمته التاريخيـة والاجتماعية ، وأوضحت مدى أهميته وتأثيره على الأدب الأوربى بصفة عامة والأدب الاسبانى بصفة خاصة •

القسم الاول : تاريخ الموريسكيين :

يقول خورخى جين الأديب الاسبانى الشهير :

« يجب أن نستفيد من معرفتنا للأحداث والوقائع التاريخية كى لا نكرر أخطاء الماضى وهذا فى حد ذاته يجعل الانسان مدركا لاحدى ماهيات وجوده الأساسية ألا وهى « الأمـل » وهنا يكمن الدور الاجتماعى الهام للتاريخ ... » .

من هم الموريسكيون ؟

جرت العادة على أن يفرق المؤرخون ما بين كلمة أو مصطلح مدجن Mudéjar [1] وبين موريسكى Morisco [2] ، وعلى الاخص

---

(١) كلمة مدجن Mudéjar تطلق على المسلمين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسيحيين الذين فتحوا واستردوا كثيرا من الاراضى الأندلسية وسائر القواعد الاسلامية فى أواخر القرن الرابع عشر . شاع استخدام هذا اللفظ بالاندلس منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى . وكان تسامح المسيحيين فى أول الأمر مع المدجنين أمر معترف به حيث كانوا يتمتعون بكل حقوقهم الشرعية المدنية والدينية ، وذلك ليخففوا عنهم وطأة اذلالهم وهزيمتهم وانسلاخهم عن مجتمعهم القديم وانتمائهم الى المجتمع المسيحى ، وتمتعوا ايضا بامتيازات كثيرة ، ولكن تبدل الحال منذ أن اتسعت الفتوحات المسيحية فى أراضى الاندلس وزاد عدد المدجنين فى مختلف المناطق المفتوحة وكانت الكنيسة تحقد عليهم وتبغضهم ، ونادت بالانتقام وعدم التسامح معهم وتحديهم وحرضوا الملوك الكاثوليك على مطاردتهم واتباع سياسة العنف واسترقاقهم أو تنصيرهم ، هـذا ما حدث فى سنة ١٢٩٨ م ، ولكن لم يستجب الملوك الكاثوليك فى بادىء الأمر لهذا النداء حرصا على مصالحهم ولأسباب أخرى تتعلق بكفاءة المدجنين واعتبارهم افضل العناصر وانشطها واكثرهم دأبا ومثابرة ولتفوقهم فى جميع ميادين الحياة ، وتشهد اعمالهم ومشاريعهم التى انشؤوها فى الأندلس بعبقريتهم وذكائهم وضربوا المثل فى البراعة والنزاهة والامانة والنظام .

انظـر :

J. Corominas : Diccionario critico etimológico de la lengua Castellana, Madrid, 1054 p. 723 — 724.

(٢) تعنى كلمة موريسكى Morisco المسيحى الجديد ، اى المدجن =

فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى ، أى سنة ١٥٢٦ م تقريبا ، الذى يسجل حادثة ارغام المدجنين الذين فضلوا وآثروا البقاء فى أراضيهم خاضعين لحكم المسيحيين • وابتداء من هذا التاريخ يتحول كل ما هو مدجن الى موريسكى ، وهى تسمية فى حد ذاتها تثير شيئا من الخلط والتشويش على كلمة « مسلم » وهذا ما حدث فعلا فى القرن السادس عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، وهذا يعتبر كارثة دينية لمسلمى الأندلس • وقد كان من المعروف أن المسيحى والمسلم قبل ٢ يناير سنة ١٤٩٢ م

= الذى تنصر عنوة دون رغبة ودخل الديانة المسيحية ، ولم يستخدم كلا المصطلحين الا بعد سنة ١٥٠٠ م ، وقد تم استخدام هذا التعبير وخصوصا بعد دخول المدجنين الدين المسيحى وخضعوا وعاشوا تحت حكم المسيحيين ، ولذلك سموا فيما بعد بالموريسكيين بدلا من المدجنين ، وهو اسم اطلق على المدجنين او المسلمين او العرب الأسبان بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م . وكلمة موريسكى تصغير لكلمة مسلم او مورو Moro وعنوا بذلك الاصاغر وهى تسمية غير دقيقة ، كناية عن سقوط الأمة الأندلسية وانحلالها.

انظر مقالة د. محمد حسن ابراهيم العمرى فى مجلة الدراسات الشرقية ، العدد السادس سنة ١٩٨٨ صفحة ٣١٠ « محنة الموريسكيين الأندلسية » وثيقة ادبية وسند تاريخى .

ويقول خوليو باروخا ، أن المصطلح مشتق من اللاتينية Mauriscus أو Mauriskus وهناك ايضا مصطلح فى الرومانية العامية يحمل هذا المعنى وهو Mauriscus ، ويستخدم فى تعريف المسلمين Mauro . ونحن نعرف ان كلمة موروس Moros اى مسلمين يطلق فى بعض النصوص الاسبانية على عرب اسبانيا او مسلمى الاندلس والمغرب ، او على المسلمين عامة . اما عن كلمة موريسكى فقد استخدمت لأول مرة كمصطلح وكلمة وتعبير عن هذا المجتمع الباقى من المسلمين فى ٢ سبتمبر ١٥٢٣ م ، وهذا لا يعنى ان هذه الكلمة لم تعرف ولم تستخدم قبل هذا التاريخ ، فقد استخدمه المجلس البلدى لمحافظة بياسة عندما اصدر اوامره للحانات والبارات والفنادق بتقديم النبيذ الى الموريسكيين . واستخدم هذا المصطلح سنة ١٥٠٠ م « كصفة » لتحديد شرعية وقانون وحقوق المسلمين فى وثيقة تحت بند « احتفالات الموريسكيين » وبعدها تحول هذا المصطلح من صفة الى اسم عندما اعتبر على أنه ليس لدلالته الدينية فحسب ، بل هو اشمل من =

يُعاملان بالمثل دون تفرقة باعتبارهما سـكان البلاد من العرب الاسبان المسلمين والاسبان المسيحيين(٣) . ولكن ابتداء من هذا التاريخ أى منذ سقوط غرناطة وتسليمها الى الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا

= هذا ، فهى تسمية لحضارة وثقافة مختلفة تماما عن ثقافة المسيحيين ، وتطورت هذه الكلمة وسموا بها المسلمين المتنصرين والمسيحيين الجدد . واستخدموا كلا منهما حتى سنة ١٥٦٠ م ، واستخدم ايضا هذا المصطلح Morisco ، عندما ثار الغرناطيون ضد المسيحيين . هذا على المستوى الرسمى ، اما على المستوى الشعبى ، فهذا المصطلح قد استخدم لان كلمة مسيحى جديد لم تكن كافية لتؤدى المعنى وتحدد الاختلاف والفروق بينه وبين المسيحى القديم . والموريسكيون هم نفس المدجنون الذين تنصروا ولكن اسما فقط وليس قلبا وقالبا .

انظـر :

Beranard Vincenti, **Historia de Andalucia** ed. Planeta y Morisco, Ha. 16, no. 18.

Mercedes Garcia Arenal, **Inquisicón y Moriscos p. 9. nota 4**
Caro Baroja : **Los Moriscos. del Reino de Granada** ed. isimo Madrid, 1976.

(٣) كان العرب الأسبان المسلمون (الأندلسيون) والأسبان المسيحيون يعيشـون معا منذ فتح ودخول العرب اسبانيا سنة ٧١١ م حتى القرن الثالث عشر الميلادي عندما بدأت حروب الاسترداد المسيحى وغزو الاراضى التى كانت تخضـع للمسلمين . واخيرا سقطت غرناطة عام ١٤٩٢ م وتحول المسلمون الى « مدجنين » خاضعين لحكم المسيحيين ، وعوملوا فى بادىء الأمر معاملة حسنة حتى قرار طردهم وتأسيس محاكم التنكيل والتعذيب . ونجح النبلاء والإقطاعيون فى حمايتهم والدفاع عنهم حرصا على مصالحهم الخاصة ، واستمروا فى رعايتهم مؤقتا ولفترة حتى سنة ١٥٦٦ م ، كان المدجنون الذين اطلقوا عليهم فيما بعد الموريسكيين فى تلك المناطق يمارسون عقائدهم الدينية فى سرية تامة ، بل استمروا فى استخدام زيهم الاسلامى وكانوا يتحدثون العربية ويخضعون لقوانينهم الدينية التى عرفت بقانون وشريعة المسلمين .

انظـر :

Ice Gebir, **Alfaqui mayor y Mufti de la aljama de Segovia : Tratado de la legislación musulmana, ((Leyes de Dios del Siglo XIV. 2o)) Suma de los principios, mandamientos y devedamientos de la ley y le çunna. Ano 1462.**

أصبح المسلم فى أى مكان من اسبانيا يعـــامل معاملة سيئة ، معاملة المهزوم ، وبدأ يفقد حقوقه تدريجيا وخصوصا كلما قويت شـــوكة المسيحيين وغزوهم لمعظم الاراضى التى كانت تخضع لحكم المسلمين[٤]. حتى أنهم لم يضعوا فى الاعتبار هذه الأقلية الاسلامية ولم يعترفوا بحق وجودهم فى البلاد بالرغم من أن كلا من الجماعتين الاسلامية والمسيحية تعايشتا خلال هذه القرون الطويلة منذ فتح الاندلس حتى تاريخ طردهم . بدأ كل هذا ينهار مرة واحدة ، وقضت تلك المعاملة على روح التسامح والود اللتين كانتا تسودان المجتمع الأندلسى ، وقل تدريجيا هذا الاحساس ، حتى اتسم بالعنف والكره من جانب الجماعات المسيحية ، فنجد مثلا أن المجلس البلدى بمدينة غرناطة ١٤٩٢ م كان يترعم الحركة فيه أفــراد من كلتى الجماعتين ويديرون معا شئون الاقليم[٥] . نجد بعدها أنه فى ٣ أكتوبر سنة ١٤٩٧ لم يكن هذا المجلس يمثل من قبل المسلمين واقتصر فقط على المسيحيين ، ومن هنا كما أشرنا بدأ يسود حكم القوى على الضعيف ولم يسمح للمسلمين

---

(٤) سقطت قواعد الاندلس الشهيرة واحدة تلو الاخرى نتيجة للتطاحن والتشاحن بين زعماء وقيادات الامة الاندلسية ومنذ انهيار الخلافة الاموية فى القرن العاشر الميلادى وقيام دول الطوائف المفككة على انقاض دولة عظيمة شامخة ، وكانت ضربة قاسية للدولة الاسلامية فى الاندلس ، وهرع معظم السكان المسلمين الى تلك القواعد الاسلامية الباقية حتى لم يبق من تلك القواعد الشهيرة سوى غرناطة ، آخر معاقل المسلمين التى استمر فيها الحكم على ايدى خلفائها بنى نصر خلال اكثر من مائتى ونصف عام ، سقطت ايضا غرناطة فريسة للنصارى وبعد نهاية الدولة الاسلامية فى الاندلس استولى الاسبان الكاثوليك على غرناطة ١٤٩٢ م ، وابرمت معاهدة بين المسلمين والاسبان الكاثوليك قضت بتسليم غرناطة ، حسب شروط وافق عليها الملكان الكاثوليكيان وتعهدوا بها ، اقسموا بدينهم وبشرفهم على رعايتها الى الأبد .

انظر بنود هذه الشروط المكونة من ٥٦ مادة من كتاب محمد عبد الله عنان : نهاية الاندلس . وتاريخ العرب المتنصرين . القاهرة ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢٠ .

(٥) انظر نفس المصدر السابق .

بالادارة وتدبير شـئون الحـكم فى البلاد فى هذه الفترة ، لدرجة أن السلطات الكاثوليكية حرمت — فى هذه الفترة — المدجنين من شراء وامتلاك الاراضى بغرض تعمـيرها بالعناصر المسيحية ورغبة فى طرد المسـلمين من المجتمع الأندلسى وتقويض ممتلكاتهم ؛ بين تمادى فى ذلك المـلوك الكاثوليك ففرضوا الضرائب الباهظـة على المدجنـين سـنة ١٤٩٥ و ١٤٩٩[٦] ميـلادية • ومن هنا فقـد كانت حيـاة وتعايش المسلمين مع المسيحيين صعبة[٧] بل كادت أن تكون مستحيلة ، ولذلك نجد أنه فى ١٥ ديسمبر سنة ١٤٩٩ م ، ثار مدجنى البياسـين بغرناطة كرد فعل على انتهاك حرياتهم واجبارهم على التنصر عنفا ، بأمر الكاردينال ثيسنيرو Cardnal Cisneros ثم حاول ممثل أسـقف غرناطة فراى ايرنانـدو دى طلبيرة Fray Hernando de Talavera

---

(٦) يقول لاديرو كيسـادا انه خلال القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر الميلادى ، هاجر وتدفق كثير من المدجنين الى مملكة غرناطة ، بالرغم من محاولة منعهم من الهروب الجماعى ، نتيجة لفقدان حقوقهم وسلب حرياتهم وكل الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها قبل القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد تمادى المسيحيون فى فرض الحصار عليهم واجبارهم على دفع الضرائب الباهظة الغير مبررة .

انظر ما كتبه فى هذا الموضوع المؤرخ الاسبانى لاديرو كيسـادا :

M. A. Ladero Quesada : **los Mudéjares de Castilla. en tiempos de Isabel I,** Valladolid, 1964. 57 — 58.

(٧) وصف انطونيو دومنجث اورتيس وبيرناند بيثنت العلاقات بين المجتمع المسيحى والموريسكى بانها « ماساة » ، وان التعايش والحيـاة معا اصبح مستحيلاً من الفترة ١٥٠١ — ١٥٧١ م (بين المسيحيين الجـدد والقدامى) بل زاد من هذا احساسـهم ومشاعرهم التى يسـودها الكره والحقد والخوف فى حياتهم اليومية .

انظر الفصل السابع الذى تعرض فيه لهذا الموضوع بالتفصيل تحت عنـوان :

« التعايش الصعب والمستحيل »

António Dominguez Ortiz y Bernard Vincent : **Historia de los moriscos vida y tragedia de una minoria,** ed. Alianza Universidad. Madrid, 1984. Pags. 129 — 155. y Nicolas Carbrillana, **Almeria Morisca,** Colección Monográfica. no 76 Universidad de Granada, 1982, Pag. 15.

أن يتدخل ويهدأ من ثورتهم ويأمرهم بالقاء السلاح خلال أيام مقابل العفو عنهم بشرط الدخول فى الديانة المسيحية .

يبدأ تاريخ الموريسكيين منذ سقوط غرناطة ، آخر معاقل المسلمين الاسبان الأندلسيين الذين أقاموا فى قصر الحمراء حتى آخر القرن الخامس عشر الميلادى (١٢٣٥ — ١٤٩١) . أى ما يقرب من قرنين ونصف من الزمان وخصوصا بعد أن اضمحلت قوة الموحدين فى أسبانيا سنة ١٢٣٨ م واستيلاء محمد بن الاحمر على غرناطة واتخاذها عاصمة لملكته وللمسلمين فى الاندلس[٨] ولهذا فهو مؤسس الاسرة النصرية (بنو نصر) أو (بنو الأحمر) ، التى كانت تضم كل من جيان ووادى أش وباجة والمرية وغرناطة العاصمة .

ضعفت غرناطة بعد محمد الغنى بالله وتعاقب على العرش ملوك ضعفاء ، دبت بينهما الخلافات وقامت الحروب والفتن الداخلية ووقعت غرناطة كمثيلاتها من العواصم الاندلسية من قبــل فريسة للحروب الأهلية ، وخسر المسلمون معارك كثيرة ومواقع هامة أدت الى تقويض مملكتهم واقتصرت ســيطرتهم فقط على مدينة غرناطة ووادى اش وما حولها . وزاد من ضعفهم انهيار غرناطة أيام أبى الحجاج يوسف الثانى . وانتهز هذه الفرصة ملك قشتالة مستفيدا من هذا الموقف ليشن هجماته ويستولى على مدينة الزهراء المجاورة لغرناطة سنة ١٤١٧ م لمحاصرتها وأخيرا فى سنة ١٤٧٩ م تحالف كل من الملك فرناندو الرابع ملك أراغون والملكة ايزابيلا الثانية ملكة قشتالة وتعهدا بالقضاء على ما بقى من المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية . وفى نهاية سنة ١٤٨٢ م تولى عرش غرناطة أبى عبد الله المعروف فى تاريخ أسبانيا ولدى الكتاب الغربيين والمؤرخين الاسبان باسم بوابديل Boabdil الملك الضــعيف

---

(٨) استولى محمد بن الأحمر على غرناطة فى ابريل ١٢٣٨ م واصبحت غرناطة حاضرته ومقر حكمه بعد وفاة ابن هود .

انظر : عبد الله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين . القاهرة ١٩٦١ ، صفحة ٤٠ .

الذى لم يستطيع أن يحسم المواقف وينهى النزاع بينه وبين عمه أبى عبد الله محمد بن سعد • واستغل فرناندو هذا الخلاف لصالحه وقرر وايزابيلا السيطرة على مملكة غرناطة • وفى النهـاية عقد أبو عبد الله معاهدة لتسليم المدينة الى الملكين الكاثوليكيين فى نوفمبر من عـام ١٤٩١ م ودخل الملكان مدينة غرناطة فى ٢ يناير سنة ١٤٩٢ م • وقد أعتبر هذا الحدث حاسما فى تاريخ الأمة الاسلامية وفى تاريخ العرب ويذكرنا أيضا بطرد الموريسكيين[٩] وأحداث تاريخية أخرى هامة •

وقد كانت هذه الفترة تمثل مأساة حقيقية لا نظير لها ، ألا وهى استسلام المسلمين بغرناطة وتسليمها للاسبان الكاثوليك وفق شروط نصت عليها المعاهدة التى وقعها المسلمون الاسبان • ولكن لم يمض الا قليل حتى نقض الاسبان هذه الاتفاقية المتفق عليها بعد استيلائهم على غرناطة واخضاعها تماما وبدأوا فى اضـطهاء مسـلمى غرناطة المدجنين[١٠] الذين عاشوا تحت حكم النصارى • وبالرغم من احتجاج

---

(٩) اوضح كل من انطونيو دومنجث وبرنارد بينثت النتائج الاقتصادية التى ترتبت على طرد الموريسكيين من ديارهم سنة ١٦٠٩ ، وافردوا لها فصلا خاصا مشيرين الى غموض هذا القرار ، موضحين أنه من بين هذه الاسباب : الدينية وهى فى المقام الاول نتيجـة للتعصب الدينى الأعمى .
راجع كتـاب : Ortiz y Vincent : **Los Moriscos** p. 117 — 223.

(١٠) كثرت الدراسات والابحاث وشغلت الباحثين والمستشرقين من الشباب عن هذه القضية التى تؤرق الضمير الاسبانى اليوم ، بل وتعددت الآراء حول الموضوع وتضاربت الاقوال حول تقييم دور الموريسكيين فى اسبانيا والنتائج التى ترتبت على طردهم وكيفية معالجة قضاياهم وثقافتهم ولغتهم . انظـر :

Alvaro Galmes de Fuentes : **El libro de los batallas** (Narraciones caballeriscas aljamiadas o Moriscos) Oviedo, 1967, **Historia de los amores de Paris y Viana** (Madrid, 1976).

ودراسات اخرى اهمها التى قام بها هارفى وبانيجس

L. P. Harvey : « **The literary culture of Moriscos** ». **the morisco who was Muley Zaidon's Spanish Interpretor,** en Miscelanéa de E. A. y Hebráicos, VIII, (Granada, 1959). Pags. 67 — 97. y Yuste Banegas. « **Un moro noble en en Granada bajo los Reyes Católicos** ». en Al-Andalus XXI (1956), Pags. 297 — 302.

المسلمين وتمردهم وقيامهم بثورات متتالية ضد الارهاب والاضطهاد المقيت التى اتبعتها الكنيسة والسلطات الاسبانية الا أن الأمر انتهى بطرد بقايا المسلمين الموريسكيين من الاندلس نهائيا سنة ١٦٠٩ م فى عهد الملك فيليب الرابع[١١] .

وتاريخ الموريسكيين الأندلسيين حافل بالأحداث المروعة الدامية التى استهدفت القضاء على شعب بأكمله ولا يتسع المجال ولا الوقت هنا للقيام بدراسة مفصلة وتحليلية لتاريخهم الطويل المضنى • وقد تصدت لهذا الموضوع فى الوقت الحاضر الدراسات الحديثة ، وتعددت كتابات الغربيين وبخاصة الاسبان منهم بعد أن كان محظورا عليهم تناول هذه القضية والكلام عنهم وعن أخبارهم حتى ولو بالاشارة[١٢] ، وتناول الحديث عنهم وذكر أخبارهم ودراستهم بعض المؤرخين والكتاب الشرقيين فأثروا المكتبة العربية بمزيد من المعرفة عن أحوالهم وقضاياهم[١٣] .

---

(١١) انظر :

المقرى : **ازهار الرياض** . الجزء الاول ، ص ٦٨ — ٧٠ ، عام ١٩٧٨ .

(١٢) فى راينا ان اهم الدراسات والابحاث التى تناولت موضوع الموريسكيين ككل ، هى التى قام بها خوليو كارو باروخا الكاتب الاسبانى والتى تعرض فيها لكل المشكلة من البداية حتى طردهم مع تحليل لكل المواقف ، كما تضمن كتابه قائمة بيلبوجرانية شاملة ومتنوعة تعالج القضية من جميع زواياها ، وهى دراسة تحليلية دقيقة وموضوعية فى نفس الوقت والتى تعتبر من اهم المصادر والمراجع التى يعتمد عليها فى هذا المجال. وقد وصف بروديل كتابه على انه افضل واحسن ما الف من كتب التاريخ وفى الانثربولوجيا الثقافية حتى هذه اللحظة .

انظر : Caro Baroja, **Los moriscos.** Madrid (1970).

Brudel Fernand : **La Meditehranée et le monde mediterranieèn a l' epoque de philippe II,** Armand Colin. México 1953.

(١٣) ونشير الى ان دومينجث أورتيس تناول موضوع الموريسكيين

أحوال الموريسكيين بعد سقوط غرناطة :

بالرغم من تفويض الحكم والسيادة فى الأندلس وسقوط غرناطة فى شبه الجزيرة الايبيرية واستيلاء فرناندو وايزابيلا عليها ، ظلت جماعات كبيرة من المسلمين المدجنين والموريسكيين فى البلاد . ولم يكن سقوط الدولة الاسلامية فى الأندلس سوى بداية للوجود العربى الاسلامى حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، دفع الموريسكيون ثمنها وتحملوا مسئولية الهزيمة والانهيار بعد أكثر من ثمان قرون طويلة وقاسية ، عانت منها هذه الجماعات الاسلامية الكثير عقب نقض الملكين الكاثوليكين الاسبان للعهود والمواثيق التى نصت عليها معاهدة التسليم[١٤] ، وأخذا بنصيحة رجال الكنيسة وضعت خطة

=

جزئيا وكليا فى دراسات متعددة وابحاث مختلفة تتعلق باصولهم واحوالهم وثقافتهم وقضاياهم :

Dominguez Ortiz : **Crisis y decadencia de Espana de los Austrias** (Madrid, 1969) **y el antiguo regimen : Los Reyes Católicos y los Austrias en** « Historia de Espana, Alfaguara » III (Madrid 1974).

تعتبر هذه الدراسة التى قام بها دومنجث من اهم الدراسات التى تناولت الموريسكيون فى غرناطة ومشاكلهم قبل قرار طردهم نهائيا من الأندلس :

Los Moriscos granadinos antes de su difinitva expulsión, en Miscelanea. de Estudios árabes y Hebràicos, XII — XIII, fasc. I (1963 — 1964), Pags. 133 — 128.

واخيرا :

« **Notas para una Sociologia de los moriscos espanoles** » en la misma Miscelanea XI, fasc. I, (1962), Págs 39 — 45.

(١٤) فى هذه المعاهدة تعهد الملكان الكاثوليكيان فى ٢٩ نوفمبر ١٤٩٢ م واقسموا على احترام هذا الميثاق وان يكفل لجميع المسلمين حقوقهم وان يكون لهم مطلق الحرية فى العمل فى اراضيهم او حيث شاءوا وان يحتفظوا بشعائر دينهم ومساجدهم كما كانوا وان يسمح لمن شاء بالهجرة الى المغرب ولكن ملكى قشتالة نقضا وخانا عهدهما بعد تسليم المدينة فى الثانى من

=

لابادة المسلمين المتبقين بالبلاد بشكل جماعى على الرغم من قسوة قوانين الاضطهاد التى طبقتها الكنيسة الكاثوليكية ضدهم بغرض تصفيتهم من خلال محاكم التفتيش ثم التنكيل والتعذيب La Inquisición [١٥] ، حيث تعرضوا فيها لأقصى أنواع الظلم

=

يناير سنة ١٤٩٢ م ، ويرى عبد الله عنان ان عهد التسليم وقع فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٤٩١ ، الذى يعتبر تاريخ سقوط غرناطة الرسمى فى أيدى النصارى ، وتعددت الآراء والروايات حول هذه التواريخ .

انظر :

محمد عبد الله عنان : **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، القاهرة ١٩٦٦ .

(١٥) هناك رؤية جديدة ايضا عن محاكم التنكيل والتعذيب الاسبانية التى اقامتها السلطات الاسبانية للموريسكيين فى كونكة والمريا وغيرها من المدن الاسبانية الشهيرة .

هذه الدراسة تسير فى نفس النهج الذى بداه جيان بير عن الموريسكيين فى تشتالة الجديدة ، دراسات يتضمنها الجزء الخاص الذى نشره كارديلاك تحت عنوان « **التنكيل والموريسكيون** » ودراسة اخرى لارسينيو رفير عن « **الموريسكيين فى طليطلة** » وهو اجرا عمل نقدى عن محاكم التنكيل فى اسبانيا الذى قام بنشره فى باريس خوان انطونيو يورينتى سنة ١٨١٧ — ١٨١٨ م . ثم نشر بعد ذلك فى مدريد سنة ١٨٢٢ م . ونظرا لاهمية هذا العمل فقد ترجم الى كل اللغات الحديثة وبدات تظهر طبعات منها فى كل انحاء العالم . وتعتبر من اعظم المؤلفات التى تناولت هذا الموضوع ، حيث عرض وجهة نظره ، معتمدا على النصوص والمراجع والمصادر المباشرة من واقع الوثائق ، وهو ايضا مرجع هام واساسى لاى دراسة من هذا النوع يستفيد منه الدارسون والباحثون باعتباره اول محاولة جدية ونقدية . وتعتبر هذه الطبعة الجديدة شاملة حيث استكملت وزودت ببعض الصور الحقيقية والمشاهد البشعة التى تجعلنا نقف على اهم احداث هذه المحاكم والجرائم التى ارتكبتها السلطات الكاثوليكية اللاانسانية ضد المسلمين من تنكيل وتعذيب وقتل واعدام . وخوان انطونيو يورينتى شاهد عيان على كل هذه الجرائم حيث كان يشغل سكرتيرا لمحاكم التنكيل والتعذيب بمدريد فى السنوات ١٨٧٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩١ م ولديه كل المعلومات التى تتعلق بهذا

=

والقهر وألوان العذاب من الكنيسة تمشيا مع سياستها التى كانت تهدف من جراء ذلك الى تحقيـق الهدف المنشـود ألا وهو الوحدة الاسبانية الدينية الكاثوليكية . ولذلك فقد قام الموريسكيون بثورات مضادة أستقبلتها السلطات الاسبانية بشدة وضراوة بالغة ، مات خلالها الكثير من المسلمين . وأجبر الكثير منهم — بعد مطاردات قاسية — على الدخول فى المسيحية والبعض الآخر على مغادرة البلاد .

قرر بعض الموريسكيون الرضوخ للأمر الواقع ولم يغادروا البلاد تمسكا بأراضيهم وممتلكاتهم ومصالحهم ، وتظاهروا بالدخـول فى المسيحية مع بقائهم على دينهم . وعلى الرغم من كل هذا ، الا أنهم قوبلوا بالقسوة والاضطهاد . ذلك الاضطهاد الذى لم تشهده الانسانية قط فى العالم حينذاك . استمر الوجود العربى الاسلامى فى الاندلس تحت سيطرة الاسبان الكاثوليك واضطروا الى مخالطتهم واسـتخدام لغتهم ؛ الا أنهم لم ينسوا تلك اللغة العربية فكتبوها بالاسبانية ولكنهم استخدموا حروفا عربيا ، والتى تعرف اليوم بالأعجمية أو الخميادو

=

الموضوع ، وقد لاقى هذا العمل النقدى شهرة عالية لا مثيل لها . وهناك مؤلفات اخرى متعددة عن هذا الموضوع بصفة عامة تحت عنوان **التنكيل والموريسكيون** **La Inquisición y los moriscos** نكتفى أن نذكر بعض منها على سبيل المثال :

Mercedes García — Arenal : **Inquisición y moriscos. « Los Procesos del tribunal de Cuenca »** 2° ed siglo XXI Madrid 1983.,

L. Cardaillac, **Morisques et Chétiens. Un afrontement polemic** (1442 — 1640). Paris 1977 H. Kamen; **La Inquisición espanola,** Madrid, 1973.

P. Dressendoerfer : **Islam unterder Inquisition : Die morisco Prozesse in Toledo,** 1575 — 1610. Wiesbaden, 1971;

Juan Antonio Llorent, **Historia Critica de la Inquisicion en Espana,** cuatro volumenes Ed. Hipision, S. L. Madrid 1981 .

واخيرا نقدم كتابا جديدا ورؤية جديدة ونقد عن محاكم التنكيل الاسبانية يتضمن دراسات ومقالات لمتخصصين فى هذا الموضوع هو كتاب :

Joaquin Perez Villanuevo : **La Inquisicion espanola. Nueva Visión Nuevos Horizontes, Siglo XXI,** Madrid 1980.

Aljamiada [١٦] وقد أصبحت لغـة أخـرى جديدة مختلفة عن العربية ومحرفة ، لها آدابها وفنونها وكتاباتها المتميزة .

ونحن نتفق مع رأى الدكتور « مصطفى السباعى » من أن هؤلاء الموريسكيون قد ضربوا أروع الامثلة فى المثابرة والجهاد وكانوا أيضا نموذجا مشرفا لانتصار حضارة الاسلام وثقافته على هؤلاء الاسبان المتعصبين[١٧] . ومن الواضح أنه لم يخف على الكنيسة الكاثوليكية أن

---

(١٦) المقصود هنا بالكتابة الالخميادو Aljamiado وهى تحـريف اسبانى لكلمة اعجمية وهى عبارة عن كتابة اللغة القشتالية المحرفة بحروف عربية وكان العرب المتنصرون اى الموريسكيون يضطرون للكتابة بهـذه اللغة بعد ان حرمت عليهم استخدام اللغة العربية ولكنهم كانوا يفكرون ويكتبون بالروح العربية ، بهذه اللغة كتب الادب الموريسكى ، ادب مسلمى الاندلس الأواخر بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢ م والذى يعرف بادب المستعجمين، او ادب الموريسكيين ، اى الأدب الاسبانى المكتوب بالأحرف العربية .
انظـر :

Alvar Galmes de Fuentes : **El intrés literario en los escritos aljamiado — moriscos,** en las actas del coloquio Internacional sobre literatura aljamiado — morisca. Departameto de Filologia Románica de la Sección de Filosofia **y letras** de la Universidad de Oviedo, 10 al 16 de julio 1072. ed Gredos. **La Lengua espanola de la literatura aljamiado — morisca como expresión de una minoria religiosa :** ponencia leid en IV Simposio de la Sociedad publicada en la Revista espanola de Linguisticos : ano 16. fasc. I. Enero - Junio 1986, en. Gredos. Madrid, **Lengua y estilo en la Literatura aljamiado — morisca,** en la Nueva Revista de Filologia Hispánica tomo XXX 1982 num. 2. Centro de Estudios Linguisticos y literarios, El Cologio de Méico y Juan Vernet : **Relaciones de la literatura árabe con las hispànicas. literatura aljamiada.** (Literatura ârabe) Barcelona 1972.

(١٧) كان المسيحيون يعتبرون الموريسكيون كفارا وذلك لاتصـالهم باتباع محمد رسول الله وبالأتراك ، واتهموهم ايضـا بالشعوذة والسحر واعتبروهم اعداء وضد الحكم والملوك الكاثوليكيين . ولمعرفة هذه المشاكل يمكن الرجوع الى هذا المقال :

P. Chaunu, : **Minuite et conjoneture. L'expulsion des morisques,** en Revue Historique, ccxxv I (1961) pags. 81 — 98.

وانظر كتاب الدكتور مصطفى السباعى . **من روائع حضارتنا** . المكتب الاسلامى الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٧ .

ذلك التنصر لم يكن حقيقيا ، ولذلك فقد أصدر فيليب الثالث (١٥٩٨) قــرارا بطردهم نهائيا تم ذلك فى الفترة ما بين عامى ١٦٠٥ م — ١٦١٤ م[١٨] .

هذه نبذة تاريخية موجزة عن أحوال الموريسكيون فى الأندلس ، بعد فقدان أعظم دول الاســلام حضارة ، ولكنهم دافعوا عنهــا بكل

---

(١٨) ان طرد الموريسكيين يعد خسارة كبيرة وكارثة اقتصادية ومأساة اجتماعية ، وذلك لحرمان البلاد من مجتمع هام له أحقيته الشرعية وكيــانه ووجوده وخبراته وتجاربه . ومن المعروف أن اكبر تجمع للموريسكيين فى المناطق الجنوبية والشمالية الشرقية وخاصة فى اقليم بالنسية (بلنسية) حيث كانوا يمثلون ثلث سكان هذه المنطقة فى القرن السادس عشر الميلادى ، وقد طرد منهم حوالى ١٢٠,٠٠٠ . وقد سبق ان طرد من قبــل حوالى ١٥٥,٠٠٠ آخرين ، فاصبح المجموع ٢٧٥,٠٠٠ المطرودون ويمثلون حوالى ٣٪ من عدد سكان شبه الجزيرة الأيبيرية حينذاك . وهناك احصائية تقول انه فى ١٦١٣ م استقر حوالى ١٠,٠٠٠ موريسكى بالقرب من ضواحى تطوان (المغرب) قادمين من بلنسية وغرناطة ، وآخرون استقروا بالجزائر وحوالى ٥٠,٠٠٠ قد عبروا البرانس الى فرنسا ، بالقرب من سان خوان دى لوث . كل هؤلاء الموريسكيين ، بالرغم من أنهم مسلمون ، الا انهم تشبعوا بالثقافة الاسبانية وامتزجوا بها وبمشاعرهم التى وصفها الموريسكى الرشلطى هكذا :

« هناك تقابلنا ، وشعرنا بحزن عميق لفراق اسبانيا فى بلادنا هناك ، وهناك ولدنا ونشأنا وهو وطننا الطبيعى والشرعى » ويقال ان الموريسكيين الذين قدموا من اسبانيا الى المغرب كونوا جماعات مستقلة منظمة استقرت بالرباط وكونوا شبه جمهورية اندلسية وكان هذا الموضوع هو الدراسة التى قام بها جيرمو جوثالبس للحصول على درجة الدكتوراه من جامعــة غرناطة ســنة ١٩٧٤ تحت اشراف د. خاستوبوش فيلا أســتاذ التاريخ الاسلامى . انظــر :

وانظر ايضــا :

Guillermo Gozalbes Busto **La Republica andaluza de Rabat en el siglo XVII,** Tesis doctrol de la Universidad de Granada, 1974.

P. E. Russell : **Introducción a la cultura hispánica, Barcelona** 1982, p. 77.

والدكتور حسين مؤنس : **تاريخ المغرب والأندلس** : الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٨٠ .

امكانياتهم المادية والروحية للحفاظ على عقائدهم وديانتهم وتقاليدهم وعاداتهم الاسلامية .

تقييم الدور والوجود العربى الاسلامى فى الاندلس :

من يعرف تاريخ المسلمين فى الأندلس ، يستطيع الوقوف على الانجازات الهامة الحضارية والثقافية التى حققها المسلمون على مر العصور منذ دخولهم شبه الجزيرة الأيبيرية (٧١١ — ١٤٩٢ م) وحتى فترة حروب الاسترداد فى أوائل شهر يناير سنة ١٤٩٢ حتى طرد الموريسكيون من الأندلس وبالرغم من هذا ، كان الملوك الكاثوليك يدركون تماما أهمية وقدر المدجنين والموريسكيين وخبراتهم وتجاربهم الطويلة فى مختلف مجالات الحياة ، حيث كانوا يضطلعون بالدور الاكبر من النشاط التجارى والزراعى والصناعى ، بل كان النبلاء والاقطاعيين الاسبان المسيحيين يعتمدون عليهم اعتمادا كليا ، بل يحاولون جهدهم الحفاظ على بقائهم واستثنائهم من تطبيق القوانين والقرارات التى كانت تصدر لطردهم من اسبانيا قبل عام ١٦١٤ م[١٩] خوفا على مصالحهم

---

(١٩) فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٠٩ م صدر قرار (مرسوم) النفى النهائى للموريسكيين او العرب المتنصرين — موجهين اليهم تهمة الخيانة واتصالهم بأعداء اسبانيا ، ولذلك فقد قرر الملك نفيهم جميعا الى المغرب فى ظرف ثلاثة ايام من نشر هذا القرار ، والموت عقوبة لمن يخالف هذا القرار ، ونص القرار على استبقاء ٦٪ من الموريسكيين للانتفاع بهم ، ويسمح للاطفال بين الرابعة بالبقاء اذا شاءوا ورضى آباؤهم ، واذا كانوا دون السادسة سمح لهم بالبقاء اذا كانوا من ابناء النصارى القدماء . وتظلم كثير من المدجنين من قرار النفى ، ووقعت فى هذه الآونة ثورات محلية وتأهبت بعض الجماعات المحتشدة فى المناطق للمقاومة ، ولكنها اخمدت كل هذه الثورات وقتل عدد كبير منهم وبدأ تنفيذ هذا القرار . وفى غرناطة وانحاء الاندلس اعلن قرار النفى فى ١٢ يناير ١٦١٠ م بعد ان عدلت بعض احكامه وتوالى اعلان قرارات النفى فى جميع الجهات التى تضم مجتمعات موريسكية فى سائر انحاء المملكة الاسبانية سنة ١٦١٠ حتى سنة ١٦١٤ م واختلف المؤرخون فى تقدير عدد الموريسكيين الذين اخرجوا من اسبانيا « تطبيقا لقرار النفى » .

انظـر :

محمد عبد الله عنان ، **نهاية الاندلس** ، القاهرة ١٩٦١ ، صفحة ٤٠٢ .

وتجنبا لتدهور أحوالهم المعيشية والاقتصادية ، حتى أصدرت السلطات الاسبانية من جديد أوامر لطردهم ، وخصوصا بعدما فشلوا فى جذبهم الى اعتناق المسيحية • وحتى الذين رضخوا لأوامرهم لم يكن تنصيرهم كما أشرنا من قبل حقيقيا ، بل أظهروا ذلك خشية البطش والخوف من التنكيل بهم ومطاردتهم ، ولكنهم مع هذا ظلوا مسلمين باقين على ديانتهم وعقيدتهم غير مؤمنين بقرار التنصير ، ومارسوا عقائدهم فى السر ، ولكن الكاثوليك اكتشفوا أمرهم ، فأمرت خوانا ابنة وخليفة الملكين الكاثوليكيين أن يخلع الموريسكين زيهم الاسلامى حتى لا يذكرهم بأصولهم ، وأمهلوهم مهلة لا تزيد على ستة أشهر وأنذروهم مرة أخرى ومنحوهم مهلة أخرى مماثلة للتخلص من هذا الزى •

وأمر الملك كارلوس الاول سنة ١٥١٨ م أن ينفذ هذا الامر على الفور ، ولكنه تراجع فى النهاية واضطر للعدول عن قراره ازاء استياء الموريسكيون واحتجاجاتهم المتكررة والمستمرة وشكواهم التى وصلت خارج البلاد وقيامهم بثورات متعددة ومتتالية ضد هذه السياسة التعسفية اللاانسانية ، فاشتد غضب الكنيسة لعدول الملك عن رأيه ، وحاولت مرة أخرى الوقيعة بينه وبين الموريسكيين وشوا بهم موجهين اليهم تهمة ممارسة عقائدهم ومزاولة نشاطهم الدينى دون اكتراث بأوامر الملك وأبلغوه بخطورة التهاون مع الموريسكيين والسماح لهم بهذا الحق الذى يساعد على الحفاظ على تكتلاتهم ، وأنهم لن يصبحوا أبدا مسيحيين حقيقيين[٢٠] ولذلك فقد عاد الملك فاستخدم سلطاته فى اصدار أوامره التاليـة :

---

(٢٠) رأت الكنيسة انهم قد دخلوا المسيحية لا عن اقتناع ويقين وتظاهروا بالتنصر وأطلقوا عليهم الاسبان « بالموريسكيين الصغار » ليقللوا من شانهم ، وهم الذين بقوا فى الاندلس يدافعون عن دينهم وثقافتهم فاضطهدوهم الكاثوليك والسلطات الاسبانية وفرضوا الضرائب الباهظة المثقلة عليهم خلال ١٤٩٥ — ١٤٩٩ دون غيرهم من السكان الاسبان الكاثوليكيين • انظـر : عبد الله عنان ، **نهاية الاندلس** •

١ — تحريم استخدام اللغة العربية واقتناء الثياب العربية •

٢ — عدم ممارسة العادات والتقاليد العربية •

٣ — عدم استعمال الحمامات العربية •

٤ — عدم غلق منازل الموريسكيين وأن تظل مفتوحة طوال اليوم وفى الأعياد والحفلات والعطلات الرسمية وأيام الجمعة والسبت •

٥ — عدم استخدام الحناء والتزين بها •

٦ — عدم الاحتفال بالزواج الا طبقا للمراسم والطقوس الدينية والعادات والتقاليد المسيحية الكاثوليكية ، على أن تفتح البيوت ليلة الزفاف •

٧ — لابد من اقامة شعائر الصلاة والذهاب الى الكنيسة بدلا من الجوامع •

٨ — عدم حمل واستخدام السلاح •

كل هذه الأوامر التى أصدرها كارلوس الأول لم تطبق الا فى عهد فيليب الثانى ••

وخلاصة القول فان محنة الموريسكيين مرت منذ سقوط غرناطة بثلاث مراحل ، فنجد أن المرحلة الاولى اتسمت بروح التسامح مع المدجنين والموريسكيين باعتبارهم جزءا من المجتمع الاندلسى له أهميته وكيانه وصلاحيته ، وأيضا حفاظا على روح المعاهدة التى وقعت من قبل عرب الاندلس والملوك الكاثوليك ، ولكنه لم تمضى فترة زمنية قصيرة حتى نقض الأسبان كما أشرنا من قبل بنود هذه المعاهدة وأجبروا الموريسكيين على الدخول فى الدين المسيحى فى حضور الكاردينال تيسنيروس Cardenal Cisneros مستخدمين فى ذلك أبشع الأساليب القهرية • وتحقيقا لذلك قاموا بتأسيس وانشاء محاكم التنكيل والتعذيب

بعد فشل سياستهم فى تنصير المدجنين[٢١] ، وتزعم هـذه الحـركة فيما بعـد وهـذه الفـكرة اللاانسانية الكاردينال خيمينث مطران طليطلة ، واسـتهدفت هـذه الحـركة غرناطة نفسـها باعتبارها المركز الرئيسى لتجمع المدجنين ومسلمى الاندلس بصفة عامة لتطبيق سياستهم وتنصير سكانها العرب الاندلسيين وتحويل جوامعها الى كنائس بل وتمادوا فى ذلك فقاموا أيضا بحرق كتب الموريسكيين ووثائقهم وكتاباتهم ، وقد كان هذا العمل المشين موضع نقد من بعض المؤرخين والكتاب وأكثرهم أوربيون[٢٢] وان دل ذلك على شىء فانما يدل على جهالة وظلام العصور الوسطى وشعوبها الأوربية وتناسيهم لأبسـط قواعد الانسانية والتحضر الفكرى ، هذه وصمة عار فى تاريخ الكنيسة الاسبانية الكاثوليكية على مر التاريخ الاسبانى والعصور الوسطى المظلمـة .

ثورات وتمـرد الموريسكيين :

لقد كان من نتائج هذه السياسة القهرية من جانب السـلطات الاسبانية الكاثوليكية ازاء الموريسكيين العزل انهـم شـعروا بعـدم الأمان والاطمئنان والثقة فى هذه السلطات العنصرية ونقض وعودهم وشروطهم فثاروا لمواجهة عنف وبطش الأسبان بهم ولتعصبهم الأعمى ، فثارت ثورتهم ولم يخشوا التنكيل والتهديدات والانذارات المتكررة وضحوا بحياتهم وبأعز ما يملكون مفضلين الاسـتشهاد والموت على الحياة الذليلة ، فانتقم الأسـبان منهـم شر انتقـام وفتكوا بالنساء والأطفال والشيوخ ، وكان هذا جبن من السلطات الاسبانية وضعف ارادتهم وعزيمتهم فى مواجهـة الواقـع التاريخى للوجـود العربى

---

(٢١) منذ فترة وجيزة بدأ موضوع الموريسكيين ومحاكم التنكيل يلقى اهتماما كبيرا من جانب الكتاب الأوربيين وخاصة الاسبان ، بعدما كان محظورا عليهم الكتابة فى هذا الموضوع . وفى دراستنا لآدابهم فى القسـم الثانى من هذا البحث ، سنذكر البيليوجرافيا الخاصة بالموريسكيين والتى تشمل المراجع والمصادر الاوربية الهامة والمتخصصة .

الاسلامى • وحاولت السلطات الاسبانية خداع الموريسكيين فلم تفلح فى ذلك ولم تلق دعوتهم الترحيب الكافى فلم يتنصر الا عدد ضئيل منهم ورفض الباقون بشـــدة اعتناق الديانة المسيحية ، ولذا فقـــد قامت السلطات الاسبانية الكاثوليكية بالتعاون مع الكنيسة باتخاذ الاساليب التعسفية والقهرية ضدهم فاضطر الموريسكيون للقيام بثورات أولها :

ثورة البيازين فى غرناطة سنة ١٤٩٩ :

من المعروف أنه من أسباب تمرد وثورة الموريسكيين فى حى أو محـــلة البيازين Albaicin غرناطة سنة ١٤٩٩ م نقض الأسبان الكاثوليكية لعهودهم ومواثيقهم[٣٢] وخصوصا عندما اعتدى أحد رجال الشرطة الاسبان وخادم الأب خيمينث على فتاة مسلمة فى حى البيازين ، فهاجمه الموريسكيين وفتكوا برجل الشرطة واحتجوا وثاروا وتوجهوا للأب خيمينث للقضاء عليه بوصفه المدبر والمخطط لهذه الحادثة ، وتدخل الأب تالافيرا لحمايته من غضب وثورة الموريسكيين ، وقد كان يحظى بتقديرهم وحبهم ، فهدأ من ثورتهم وساعدته الســـلطات الحكومية بأساليبها الماكرة حتى يكتشـــفوا مدبروا هـــذه الثورة وهم أربعون موريسكيا ، هربوا كلهم الى جبال البشارات خشية الانتقام والابادة[٣٣]

---

(٣٢) من أهم المصادر والمراجع الاندلســـية التى تناولت اخبـــار الموريسكيين وأحوالهم السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية وقضاياهم بصفة عامة نذكر المقرى فى نفخ الطيب من غصن الاندلس وفى تاريخ ابن‌خلدون وعلى الأخص فى ((**الاحاطة فى اخبار غرناطة**)) لابن الخطيب وغيرهم من اشهر علمائنا الاندلسيين . أما فى الوقت الحاضر فقد تناول بعض كتابنا الشرقيين هذا الموضوع فى ابحاث ودراسات متفرقة امثال محمد عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس وغيرهم . ونأمل ان يلقى هذا الموضوع مزيدا من الاهتمام لابراز الدور العظيم لهذه الجماعات الاسلامية المضطهدة فى الاندلس والمأساة التى عاشوها فى آخر ايام المسلمين فى الاندلس حتى طردهم نهائيا من البلاد ، واجبار وتحويل كثير منهم وادخالهم فى الدين المسيحى عنوة .

ونجحت السلطات الاسبانية فى القضاء على هذه الثورة واخمادها سنة ١٤٣٩ م ، وبعدها قرر ملك غرناطة الاسبانى تشكيل محاكم التفتيش والتنكيل دون محاكمة واجبار الموريسكيين على التنصر أو التشريد . لم تجد السلطات الاسبانية استجابة ، فقررت منعهم من الاختلاط بأهل غرناطة حتى لا يؤثروا عليهم ويبثوا فيهم روح الثورة . وأصدر الملكان مرسوما يقضى بحرمان الموريسكيين من ممارسة أى عمل يتصل بعقائدهم ولغتهم ولذلك لم يبق أمامهم الا اللجوء والاحتماء بالحصون والمعاقل المنيعة والجبال والمرتفعات ، ومن هناك كانوا يشنون هجماتهم وغاراتهم على القوات الاسبانية التى كانت تطاردهم باستمرار وتسعى للقضاء عليهم[٢٤] .

---

(٢٣) كان قرار طرد الموريسكيين من غرناطة نتيجة ونهاية ثورة وحرب البشارات ١٥٦٨ — ١٥٧٠ م . صدر القرار فى اكتوبر سنة ١٥٧٠ م وبدا تنفيذه فى نوفمبر سنة ١٥٧٠ . قاد هـذه الثورة ابراهيم ابن امية واستمرت ثلاثة اشهر ، احتلوا فيها أماكن هامة حصينة على السواحل ولكن المسيحيين استطاعوا ان يهزموهم ويستولوا على لانخرن Lanjaron فى الغرب واندارس Andrax فى الشرق . وقامت ايضا بعض التمردات فى المرية وجبال فيلابرس وفى منطقة نيجر Nijar ، وكان آخر هذه الثورات التى قام بها المدجنون فى هذه الفترة فى رنده Ronda واستمرت فى شهر يناير حتى مايو . اضطر الملك فرناندو الى التدخل . بعد هزيمة المسيحيين فطالبه المدجنون بتحسن ظروف معيشتهم الاجتماعية . انظر :

L. Marmol Carvajal, **Historia de la reblióu y testigo de los moriscos del reino de Granada**, Biblioteca de autores espanoles XXI. Madrid 1946;

F. Janer, **Condición Social de los moriscos en Espana.** Madrid, 1857, pp. 43 — 46. y B. Vincent **L'expulsion des morisques du royaume de Granada et Ceur repartition en Castille (1570 — 1571)** Melanges de la Casa de Velásquez, VI. 1971, pp. 187 222.

(٢٤) لقد خرج منهم فى هذا العلم الأخير او فى سنة ١٦١٢ نحـو ستمائة الف ، ذهب اكثرهم الى المغرب وانبثوا فى الريف وعمروا تطوان والرباط وسلا وجانبا من فاس . وذهب كثير منهم ايضا فسكنوا تلمسان

=

ثــورة البشــارات :

كان من نتائج ثورة الموريسكيين فى حى البيازين بغرناطة أن ثار اخوانهم فى منطقة البشارات الواقعة فى جنوب غرناطة فأرسلت السلطات الاسبانية حملة للقضاء عليهم ، وقام جنــود الســلطة بحرق المنازل والقرى وقتل النساء والأطفال والشيوخ ولم يلحقوا بالرجال الأشداء من الموريسكيين الذين انضموا الى اخــوانهم بجبــال البشــارات وما جاورها ، واحتل رجال وقواد الملك الكاثوليكى القــرى والحصون والقلاع • ولقيت هذه الحملة العسكرية كل مقاومة من الموريسكيين ، ودافعوا بشجاعة عن مواقعهم ، ولكن هذه الثورة أيضا أخمدت سنة ١٥٠٢ م واضطهدهم الاسبان كالعادة اضطهادا لا مثيل له ، فأشعلوا النيران فى مساجدهم وقتلوا نساءهم وأطفالهم وأحرقوهم أحياء وتعرض الموريسكيون المهزمون لحرب ابادة شاملة ومكشوفة ، ولذلك كان عليهم أن يختاروا ما بين التنصر القهرى والبقاء أو الهجرة الجماعية الى شمال أفريقيا أو الى مصر والشام • وكانت نتيجة هــذه الثورات وهذه الاحداث أن تحــول مسجد غرناطة والبيازين الى كنائس ، وأجبر الموريسكيون على تبديل زيهم وترك لغتهم وتقاليدهم وتغيير أسماءهم وحملوهم على اعتناق الدين المســيحى واســتعمال اللغة والتقاليد والاسماء الاسبانية •

فى أوائل شهر يناير سنة ١٥٦٧ م أصدر مرسوما جديدا فى غرناطة وفى كل أنحاء المملكة يقضى بشروط محددة على أن يســتثنى منهــا

=

والجزائر وتونس ووصل آخرون الى الشرق (الى مصر والشام) ، وقد سبق أن هاجر من قبل عدد كبير منهم الى شمال افريقيا ايضا نتيجة للمرســوم الذى اصدره فيليب فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٦ م •

الموريسكيون المتواجدون بالمدن والجبال وباقليم البشارات[٢٥] • وعلى كل حال فان كل هذه الاجراءات والمواقف المتشددة والقرارات الصارمة ما هى الا وسيلة للتخلص من كل مسلم أو أى أثر اسلامى يمت بصلة للديانة والعادات والتقاليد والروح الاسلامية ، وبمعنى أصح القضاء على كل ما يذكرهم بالحكم العربى الاسلامى فى البلاد ، ولهذا فقد تمرد وثار أهالى اقليم البشارات ضد السلطات الاسبانية الكاثوليكية وكان يقود هذا التمرد باقليم البشارات موريسكى ويدعى فـرج بن فـرج بمســاعدة بعض الموريسكيين أصحاب النفـوذ والسلطة فى اقليم البشـــارات •

تفجرت ثورة البشارات فى يوم الخميس من عام ١٥٦٨ م ، وعندما أحست السلطات الاسبانية فى غرناطة بهذا الخبر ، أسرعت على الفور فى اتخاذ التدابير لمنع هذا التمرد واتخذت الاجراءات للازمة تحسبا

---

(٢٥) سمى حى المسلمين بحى Moreria نسبة الى كلمة مورو ومن المعروف انه صدر قرار من الملكين الكاثوليكيين فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٥٠٠ الى المسلمين بهذا الحى بمدينة بسطه Baeza باعفاء الذين تنصروا منهم أو يتنصرون ، من جميع الفروض والمغارم التى فرضت على الموريسكيين ، وتحريمهم منها سواء بالنسبة لأنفسهم او منازلهم واموالهم الثابتة والمنقولة من يوم التنصير ، والا يدخل احد منازلهم ضد ارادتهم ، ومن يفعل ذلك يعاقب بغرامة فادحة . وان يعفو من سائر الذنوب التى ارتكبت ضد خدمة العرش ، وان تحترم جميع العقود والمحررات التى كتبت بالعربية ، وصادق عليها فقهاؤهم وقضاتهم ، وان يعامل المتنصرون منهم كســائر النصارى الآخرين فى بسطة ولهم ان يتنقلوا وان يعيشوا فى اى مكان آخر من اراضى قشتالة دون قيد او عائق الى غير ذلك من المنح والامتيازات ، وصدر اخيرا مرسوم بالعفو عن جميع سكان حى المسلمين Moreria بغرناطة والقــرى الملحقة بها .

انظـــر :

اخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر ، المنشور بعناية المستشرق ميلر جوتنجن سنة ١٨٦٣ ، صفحة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ . وايضا **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب المقرى** (انظر طبعة القاهرة وبولاق) .

للموقف ولمنع وقمع هذه لثورة ، ولكن الموريسكيين غيروا من خططهم فى أوائل شهر يناير سنة ١٥٦٩ م وقاموا بثورتهم ليلا وشنوا هجومهم على قصر الحمراء وعلى مدينة غرناطة ، يدعمهم جماعات البيازين وعشرة آلاف موريسكى آخرين ، وبالرغم من أن الخطة لم تنفذ بهذه الطريقة المعلنة ، الا أن الصراع نشب مبكرا ، وهو الصراع المعروف بحرب أو ثورة اقليم البشارات ، التى أشرنا ليها من قبل ، والتى انتهت بهزيمة الموريسكيين وترحيلهم الى بعض المدن والقرى فى أقصى الجنوب والى جـالثيا وطليطـلة وقشـتالة القـدمية وأراجـون وقطالونيـة وبلنسية ومرسية أيضـا ، حتى يندمجوا مع سـكان هـذه المناطق ليتلاشوا تماما وتذوب أصـولهم ويحرموا من ممارسـة عقائدهم الاسلامية ، وبالرغم من ذلك فقـد عاش الموريسكيون المهزمون فى أماكن وأحياء مستقلة خاصة بهم تسمى Moreria [٣٥] منعـزلين . ولم يكن استسلامهم حقيقيا ، وظلوا يمارسون عاداتهم وعقائدهم ، وكونوا جماعات مستقلة ولم يعترفوا أبدا بولائهم واخلاصهم للمسيحية ولم يعتبروا أنفسهم على الاطلاق — « مسيحيين » — وبالرغم من هذا لم يسلموا من شر الكاثوليك ، الذين تمادوا فى تعسفهم ، فأمر الملك فيليب الثانى بتعديل القوانين والعادات الموريسكية وتنفيذ هذه الشروط فور اعلانها وهى :

١ — على الموريسكيين التحدث باللغة القشتالية ومحظور عليهم الكتابة والقراءة فى مكان عام سرا أو علانية باللغة العربية .

٢ — الغاء كل العقود والكتابات والمواثيق والمستندات المحررة باللغة العربية ، لأنه لن يكون لها الصفة الشرعية والرسمية .

٣ — تودع كل الكتب والمجلات العربية فى دار القضاء المسيحى بغرناطة لتبحث ويدرس مضمونها .

٤ — لأسقف غرناطة الحق فى اصدار أوامره فى تعليم الموريسكيين اجباريا االلغة القشتالية .

٥ — محظور على المسلمين أن يقتنوا الملابس الاسلامية ، بل تستبدل بالملابس المسيحية ، على أن تعطى لهم مهلة للتخلص من هذه الثيـــاب .

٦ — على النساء الموريسكيات عدم استخدام الحجاب وكشف وجوههن .

٧ — عدم استخدام الحمامات الصناعية وهدم كل الحمامات العربية الاسلامية .

٨ — وعلى الموريسكين اعتناق العبيد الذين يخدمون بمنازلهم كما أنه محظور عليهم أيضا شرائهم ، وعلى من يحوز أى تصاريح لامتلاك العبيد السود ، عليه أن يقدمها الى رئيس المحكمة العليا بغرناطة وذلك لمراجعتها وتجديدها أو الغائها . هذا وقد تم تنفيذ هذه الاوامر على مراحل .

حاول مرة أخرى ومن جديد ألونسو دى أوروثكو المشرع القانونى الكنسى أن يجبر الموريسكين بالقبـول والرضـوخ لهـذه الاوامر ولكنهم لم يستجيبوا لمحاولته ولم يقنعوا بآرائه ولم يهدأ لهم بال . ظلوا يحاربون ضد الحكام الاسبان الطاغين والمستبدين ، بل ويشجعون الاهالى والسكان على التمرد والمؤامرات السياسية التى تهدد أركان الدولة وأمنها وحكامها ، ولهذا فقد أشـــار كثير من المقربين الى الملوك الكاثوليك ونصحوهم بطرد الموريسكين وخاصة فى عهد فيليب الثانى وفيليب الثالث .

وفى هذه الفترة تمت اتصالات بين الموريسكين فى غرناطة وبين الموريسكين فى كل من بلنسية وأراجون وقشتالة واندلسيا ووطدوا علاقتهم أيضا مع مسلمى الجزائر .

الأعمال التى كان يزاولها الموريسكيون :

من المعروف أن الموريسكيين كانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة وبعض الصناعات والفنون وأعمالا أخرى • وكنات لهم شهرتهم كاقتصاديين مهرة ، وبعضهم أثرياء ، بالرغم من الظروف القاسية التى كانوا يعانون منها وفرض الضرائب الباهظة المثقلة عليهم • وقد كان الموريسكيون يتزوجون فى سن مبكرة ليساعدوا على زيادة أسرهم وعددهم • فنجد أنه فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، كان عدد الموريسكيين فى مملكة بلنسية قليلا جدا ولكن فى سنة ١٥٧٣ زاد عددهم بنسبة ١٩ر٨٠٠ عائلة موريسكية ؛ وفى سنة ١٥٩٩ الى ٢٨ر٠٠٠ و ٣٠ر٠٠٠ فى أوائل القرن السابع عشر ، فى حين أن السكان الاسبان الكاثوليك قل عددهم بسبب الحروب والفقر • أدى ذلك الى مطالبة الملك مرة أخرى بطرد الموريسكيين • ومن جهة أخرى ناشدت البارونات البلنسية وبعض القساوسة الملك العدول عن رأيه فى قرار طردهم ، غير مشجعين على الاقدام على هذه الخطوة الجريئة والخطيرة التى سوف تؤدى بدون شك الى زيادة فقر الممالك الاسبانية وقلة الجبايات التى كانت تحصل من الموريسكيين • وفى سنة ١٦٠٤ م درس البلاط الملكى هذه القضية وطلب بعض القساوسة من الملك فيليب الخامس النظر ، فأصدر قرارا عام ١٦٠٦ م يقضى باجتماع أساقفة المنطقة لعرض الموضوع ودراسته وابداء الرأى والمشورة واصدار بما يرونه مناسبا من قرارات • وفى نفس الوقت كتب للملك والاساقفة يحثونهم على اتخاذ أساليب أكثر لينا وأن يمتنعوا عن استخدام العنف والقسوة ضد الموريسكيين ، بل والجنوح الى اتخاذ الطرق السلمية والمقنعة فى تنصيرهم • واجتمعت فعلا اللجنة المشكلة من الاساقفة لاستصدار الاوامر والقرارات اللازمة • وفعلا بعد انتهاء الجلسة كتبت ورفعت اللجنة تقريرا مفصلا بعد مناقشات وعرض الآراء لبحث الموقف فى سنة ١٦٠٩ م وأرسلته الى مدريد ، ولكن الملك لم ينتظر قرار اللجنة الشرعية المكونة وأخذ بنصيحة

دوق ليرما ، وانزعج من الاخبار التى وصلته عن الشكاوى المتكررة والمتواصلة التى بعث بها الموريسكيين الى قسطنطين والمغرب ، وأصدر قرار طردهم • وكلف حاكم بلنسية العام الماركيز كراثينا قراءة نص القرار بطردهم من بلنسية والسماح لهم بالعبور الى شمال أفريقيا وأعطاهم مهلة ثلاثة أيام لخروجهم ومغادرتهم البلاد دون تردد والا ينفذ فيهم حكم الاعدام ، ومحظور عليهم أيضا حمل أى شىء الا بعض الاموال والاثاث والاشياء الضرورية ، على أن لا يبقى فى الاراضى أى موريسكى ، وعلى من يخالف هذا الامر ، فيحق — فى نفس الوقت — لأى أسبانى كاثوليكى أن يقتله أينما يوجد ، ويعاقب كل شخص يحمى موريسكى أو يتستر عليه ويخفيه فى منزله •

وأخيرا خرج عدد لا بأس به من الموريسكيين الى شمال أفريقيا ، وسمح فقط لستة أشخاص موريسكيين ليقوموا بتعليم السكان الجدد الزراعة • ويسمح أيضا للصغار الذين لا يزيدون على أربع سنوات البقاء فى البلاد اذا رغبوا أو سمح لهم آباؤهم بذلك ، أما الأولاد فيظلون مع الأم ويطرد الاب الموريسكى خارج البلاد • أما عن الموريسكيين الذين قرروا مغادرة البلاد بشرط عدم المرور بالاراضى الاسبانية • وتلبية لهذه الاوامر وتنفيذها فقد اضطرت بعض العائلات الموريسكية للابحار من الموانى الاسبانية بشمال شرق أسبانيا مثل اليكانتى وغيره من الموانى فى طريقهم الى تونس والجزائر وأوران ومدن افريقية أخرى • ولكن لم يسلم الموريسكيين المهاجرين مرة أخرى من قسوة وبطش الجنود الاسبان ووحشية الجماعات الاسبانية المتطرفة والمتعصبة فانقضوا عليهم وهم فى طريقهم الى هذه الموانى ونقلوهم ونقلوا أولادهم وشيوخهم وانتهكوا حرماتهم وبناتهم وسلبوا أموالهم • وبالرغم من أن بعض الموريسكيين غادروا البلاد ، الا أن كثيرا منهم لم يستجب ولم يرضخ لهذا الامر وتحصنوا واجتمعوا وعسكروا فى كل من : Val de ayora, Castellà Alakar, Guadaleste

حارب الموريسكيون فترة قصيرة ولكن دون جدوى ، وأخـيرا اضطروا الى الاستسلام وخرج من موانى بلنسية وأماكن أخرى كثيرة منذ ٢٦ سبتمبر سنة ١٦٠٩ حتى مارس سنة ١٦١٠ ، حوالى ١٥٠،٠٠٠ موريسكى وبعد خروج الموريسكيين من بلنسية ، اتبعهم الموريسكيون المتواجدون فى أندلسيا ومرسية ، وطبقا للقرار الذى أصدره الملك فيليب فى ١٢ — ١٨ يناير سنة ١٦١٠ م وكان محظورا على الموريسكيين حمل الذهب والفضة والمجوهرات ولا أى عملات أجنبية ولا شيكات من أى نوع ، وبعدها صدرت أوامر أخرى بحمل نصف المبلغ فقط ، على أن يسمح لهم بحمل ما يشاءون من الفواكه والسلع الغير ممنوعة . وهاجر هؤلاء الموريسكيون الى أفريقيا وأجبروهم على ترك أبناءهم الذين لم يبلغوا سن السابعة ، أما اذا كانوا متوجهين الى بلاد كاثوليكية مثـل فرنسـا فيسـمح لهم باصطحاب أولادهم ، مهما كانت أعمارهم ولذلك . فقد خرج من أندلسيا ٨٠،٠٠٠ موريسـكى ، ومن مرسـيه ١٥٠،٠٠٠ آخرون .

وفى ١٩ مايو من نفس السنة ، أصدر الملك مرسوما آخر بطرد الموريسكيين ، فى كل من أراجون (أراغون) وقطالونيا وقد خـرجوا فعلا وأبحروا من ميناء الفقهاء Al-Faques وآخرون اتجهـوا الى باريس عن طريق نافارا وخـرج من أراجون ما يزيد على ٦٤،٠٠٠ وهم ينتمون الى ١٣،٨٩٤ عائلة موريسكية . وطرد أيضا الموريسكيون بنفس الطريقة حوالى ٥٠،٠٠٠ من قطالونيا وتبعهم آخرون من قشتالة الجديدة والقديمة ومن اكسترمادورا . وكان عدد المهاجرين من كل قشتالة القديمة والجديدة ما يقرن من ١٠٠،٠٠٠ ألف موريسكى .

وبلا شـك فان خروج الموريسكيين من أسبانيا وطردهم خارج البلاد يعتبر كارثة اقتصادية وسياسية ومأساة اجتماعية وانسانية كبيرة تتحدث عنها الأجيال الحاضرة والقادمة ويندد بها اليوم المؤرخون والكتاب الشرقيون والغربيون على السواء بعد مرور قرنين من الزمان ، كيف تضـاربت الآراء حـول النتـائج التى ترتب عليهـا طـرد

الموريسكيين[٣٦] . لأن هذا الاجراء فى حد ذاته أدى الى حرمان أسبانيا من مجتمع زراعى وصناعى وتجارى واقتصادى هام اعتمد عليه الاسبان خلال فترات تاريخية منذ دخول العرب شبه الجزيرة الايبيرية (أسبانيا والبرتغال) حتى ساعة طردهم . وقد لاقت بعض الصناعات الهامة أيضا بعد خروج الموريسكيين قصورا فى الانتاج ، فنقص انتاج وصناعة الحرير والمنسوجات والجلود والورق التى كانوا يجيدون صناعتها وانتاجها ، هذا بجانب أعمال أخرى يدوية هامة وفنية وصناعية لم يتقنها الاسبان الكاثوليك حتى خروج الموريسكيين من البلاد ، أما من الناحية التاريخية فلا يوجد مؤرخ معاصر الا ويثير هذه المشكلة ويناقشها ويعلق عليها ويبدى رأيه ويستعرض أقوال الآخرين من الكتاب ويؤكد خطأ هذا الحدث التاريخى السياسى الخطير وهو طرد الموريسكيين . أما من الناحية السياسية فنجد أن طرد الكاثوليكيين للموريسكيين لاقت تأييدا من الكتاب الاسبان وبعض المتعصبين على أنها تمثل فكرة قديمة وأملا منشودا يسعى اليه كل كاثوليكى ألا وهى الوحدة الدينية وهى الفكرة التى سار على نهجها كل الملوك الكاثوليك منذ سقوط غرناطة حتى منتصف القرن السابع عشر ، بل يذهبون الى أكثر من هذا لاعتبارهم أن هذه الوحدة هى الطريق الصحيح الى الوحدة القومية الوطنية . وأن طرد الموريسكيين أيضا يجنب البلاد حروبا مستمرة تستنزف أموالهم وقواهم وثرواتهم وخيرات بلادهم ، بصرف النظر عن حقوق الموريسكيين الطبيعية والتاريخية والسياسية والانسانية .

---

(٣٦) يؤكد روسيل ان طرد الموريسكيين كان يعد عاملا من عوامل انهيار وتدهور الاحوال بالمدن الاسبانية خلال القرن السابع عشر ، ونحن معه فى هذا الراى ، بالرغم من معارضة بعض الكتاب والمؤرخين اللذين خالفوا هذا الراى .

P. E. Russell : **Introducción** y Domiquez Ortiz y B. Vicent. **Los moriscos.**

الثقـــافة الموريسكية :

عندما نتناول هذا الموضوع ، أعنى ثقافة الموريسكيين[٢٧] يتبادر للذهن أننا سنقتصر فقط على الناحية الدينية وهو ما أرادته السلطات والكنيسة الكاثوليكية صبغها بالطابع الدينى ، لتعميق الخلاف بين كل من المجتمعين الاسلامى والمسيحى ، ولكننا فى الحقيقة نذهب الى أكثر من هذا ، فهذه الثقافة تتناول جوانب أخرى متعددة وهامة وهى التى تحدد الصراع القائم بين الحضارتين : الاســـلامية والمسيحية[٢٨] . والثقافية الموريسكية تشمل أيضا العادات والتقاليد والروح والشريعة والقانون والأدب والحضارة التى حاولت السلطات الاسبانية الكاثوليكية التقليل من أهميتها والانتقاص من قدرها .

ومن المعروف عن الموريسكيين حرصهم الشـــديد على الالتزام بالقواعد والآداب والعادات والتقاليد العربية لاسلامية والسير على نهج المسلمين فى أنحاء العالم الاسلامى ، ويقال أيضا أن الموريسكيين البلنسيين يفضلون الخبز والخضروات والفاكهة والعسل والنبيذ والزبيب والتين عن اللحم ، أما عن الغرناطيين فيفضلون الحساء بكل أنواعه[٢٩] . ويأكلون الكسكسى Alcuzcuz ومن يتناوله يعرفون أنه موريسكى ، ويذكر أن مســــيحى يدعى خـــوان دى بورغش Juan de Burgos تناول ذات مرة هذا الطبق الشعبى فكان جزاؤه حمله الى محاكم التنكيل بطليطلة سنة ١٥٣٨ م للخلاص منه[٣٠] .

---

(٢٧) يتعرض للمشكلة الثقافية كارو باروخا .
Caro Baroja. **Los moriscos** p. 122.

(٢٨) انظـــر :
Braudel. Fernand : **Conflicts et refus de civilisation. espagnols et morisques au XVI,** siecle Annales SEC. 1947, pp. 397 — 410.

(٢٩) اذا أردت التعرف على أنـــواع الحساء الذى كان يفضـــله الموريسكيون فى غرناطة ، انظـــر :
B. Vincent : **la cultura morisca,** H° 16 no 18.

(٣٠) نفس المصدر السابق .

ويمكن تمييز المسيحى عن المسلم عن طريق الرداء الذى يحمله كل منهما • ويعلق على هذا المؤرخ المشهور Aznar Cardona أن ملابس البلنسيين تدعى للاشمئزاز وأن الغرناطيين يلبسون السراويل Zaragüilles والغرناطيات يلبسن القندرة Alcondra وقميص طويل من الكتان أو الحرير وعليه يوضع عباءة تسمى الملوطة Maltola ثم الملحفة Almalafa وهى عبارة عن قماش من الكتان ، والصوف أو الحرير ، لونها أبيض والجزء الأعلى يغطى وجه المرأة • أما الرجال فيستخدمون أحيانا ، قفطانا Caftàn وعمامة Turbante [٣١] • وأما عن مساكن الموريسكيين — بصفة عامة — فهى أصغر من البيوت المسيحية ويختلف توزيع الحجرات والغرف مع مراعاة الضوء والظل والحرارة والبرودة ولنظافة كل هذا كان يوضع فى حسبان الموريسكى دون المسيحى بهذه الكيفية والعناية • ويزيد على ذلك اهتمام الموريسكيين بالحمامات • وبقرض الشعر والرقص الشرقى على أنغام الآلات الموسيقية مثل الغيطة Gaitas والطبول Atabales • هكذا كانوا يرقصون فى أفنية الكنائس ، حسب النصوص التى دونها الموريسكيون بعد الانتهاء من حفلاتهم والتى كان يقدمها ويشاركهم فيها أسقف غرناطة ايرناندو دى طلبيرة Hernando de Talavera [٣٢] •

---

(٣١) تناول موضوع استعمال الملابس أو الزى الاسلامى فى اسبانيا قبل طرد الموريسكيين الكاتبة الفرنسية راشيل أريبه • انظر :

R. Arié. « **Acerca del traje musulmàn en Espana desde la caida de Granada hasta la expulsión de los moriscos** » en la Rev. del IEI. de Madrid, XIII (1965 — 1966), Pags. 103 — 117.

وتطرق الى هذا الموضوع ايضا كل من بيرنس وباروخا •

C. Berriis, **Modas moriscas en la sociedad espanola del siglo XV y Principio del XVI,** en Boletin de la Real Academia de la Historia CXLIV (1499) Pags. 199 — 226. Y Caro Baraja **Los moriscos,** p. 117 cap., 4.

أما بالنسبة للغة فقد كان الموريسكيون يتحدثون لغة مختلفة عن المسيحيين ، ولهجات مختلفة مشتقة من اللغات المتحدث بها فى كل من أراجون وبلنسية وغرناطة . وأيضا العربية Algarabia وهى تختلف بدورها عن العربية المتحدث بها فى الدول العربية ، بالاضافة الى اللغة المستعربة التى ترجع أصولها الى اللاتينية وقد كان الموريسكيون على علم تماما بأهمية التحدث بلغة أصلية .

وبالرغم من هذا كله ، فالمشكلة التى كانت تعوق العلاقات بين المسيحيين والموريسكيين وتزيد من الخلافات بينهما موقف السلطات الكاثوليكية وسياسة القهر والقمع والاضطهاد وخاصة عندما قاموا بحرق كتب الموريسكيين ما عدا الكتب الخاصة بالفلسفة والطب ومع هذا ؛ فقد ظهر أدب دينى أعجمى خلال القرن السادس عشر الميلادى يشمل نصوصا مكتوبة بلغة رومانية ولكن بأحرف عربية والتى فيها ينتقد بعض القوانين الكاثوليكية والأفكار الدينية ، وعلى سبيل المثال مشكلة التثلث ورفض كلى لفكرة سر التجسد فى الدين المسيحى .

وهناك مخطوطات كثيرة موريسكية تشمل نصوصا عن الطب وتتداولها الجماعات الموريسكية ويعرفونها فى هذه الفترة والتى ساعدت على ازدهار العلوم الحرة والتى يعترف بها ويقدرها المسيحيون ، وهناك عديد من مشاهير الأطباء والفلاسفة الموريسكيون ممن ساهموا فى ازدهار هذه العلوم الطبية والفلسفية[٣٣] . وبالرغم من كل هذا فان هذه الوقفة وهذا التعاون المثمر لم يستمر فترة طويلة ؛ بسبب نشوب خلافات بين الأطباء الكاثوليكيين والموريسكيين ، وقد كانت محاكم التنكيل أيضا السبب فى بث الخلافات واثارة مشاعر الحقد والضغينة والكره بينهما ويمكن القول أن الصراع بين الثقافة الموريسكية والمسيحية يتفاقم تدريجيا وزاد من حدته المعاملة السيئة التى كان يلقاها

---

(٣٣) راجع نفس المصدر السابق .

الموريسكيون من المسيحيين • وعلى كل حال فقد كان طبيعيا أن يكون هناك نموذجين مختلفين من الحيـــاة ومتعارضين هما : الموريسكية والمسيحية •

ان اختلاف الثقافة وطريقة ونظم الحياة بين الموريسكية والمسيحية أدى الى عدم التفاهم والتسامح ، بل زاد من عنادهما أن كل واحد منهما يريد أن يثبت أنه أفضل من الآخر وأن ثقافته تتفوق على ثقافة الآخر ، ومن هنا كان التعايش بينهما مستحيلا •

ومما يدعو للأسف ، أن كثيرا من الكتاب والمؤرخين والأدباء الاسبان المعاصرين وصفوا الموريسكيون بأبشع الصفات والعادات فى جمل تكاد تشمئز منها الانفس[٣٤] على عكس كتاب أسبان آخرين أيضا ، يشيدون بعظمة الآثار الاسلامية التى هى من صنع هؤلاء البشر[٣٥] •

أحوال الموريسكين بعد الطـــرد :

ويجىء الســـؤال هنا فى المقام الأول وهو ماذا بعد الطرد ؟

وهل استمر الوجود الموريسكى فى أسبانيا وكيف ؟

بلاشك ، بعد القرارات التى صدرت بطرد الموريسكين من أسبانيا ، كان من المتوقع ألا يبقى موريسكى فى هذه البلاد ، وهذا ما كان ينتظره المسيحيون وبخاصة السلطات الكاثوليكية ، وفعلا اختفى الموريسكيون بعد قرار الطرد فى ٩ ديسمبر سنة ١٦١٠ م ، ولكن جماعات منهم حاولت أن تتباطأ فى تنفيذ هذا القرار والرضوخ لهذا الأمر ، وبعضهم ذهب الى بلاد البربر وآخرون عادوا الى أسبانيا والبعض سجنوا وآخرون

---

(٣٤) راجع نفس المصدر السابق .

(٣٥) لمعرفة هذه الاحصائيات وموقف السلطات الكاثوليكية والملوك الاسبان من هذه المشكلة . راجـــع :

Bernad. V., **Historia de Andalucia.** ed Planeta y Gran Encic. de Andalucia. Sevilla. Promoción Cultural andaluza. Historia ed. Planets **y Gran Encic.** Sevilla, P. C. A.

استطاعوا الهروب والاختفاء فى المدن الاسبانية • بطبيعة الامر كان المسيحيون يبلغون ويخطرون السلطات عنهم ، واستمروا على هذه الحال ، حتى أصدر الملك فى سنة ١٦٢٣ م بعدم قبول أى شكوى أو بلاغ ضدهم •

ويبدو أن كثيرا من الموريسكيين ظلوا وبقوا فى غرناطة فى هذا المكان ، أما الذين فضلوا أو أجبروا على البقاء فكان معظمهم أطفال فى السابع من عمرهم ، وعبيد موريسكيون معروفون كمسيحيين قدامى حقيقيين أو موريسكيون اختبأوا ولم يتعـد عددهم أكثر من ٥٠٠٠ شخص[٣٦] •

تأثرت أندلسيا أيضا فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى بقرار طرد الموريسكيين دون مملكة غرناطة التى احتوتهم • أما بالنسبة لباقى المدن الاندلسية فقد غادر البلاد حوالى ٢٫٥٢٦ موريسكى أبحروا من المنكب وبخاصة من مالقه ١٦١٠ — ١٦١١ م • وخرج من أشبيليه وقرطبة وجيان حوالى ١٥٫٠٠٠ آخرون •

ووصل عدد كبير منهم الى سبتة وطنجة ومرسيليا ، هذه الأخيرة التى حاول الموريسكيون أن يتجهوا الى شمال افريقيا عن طريقها •

ومن المعروف أن كثيرا من العبيد المسلمين تنصروا ثم عادوا مرة أخرى الى الدين الاسلامى • وهناك أمثلة عديدة لكثير من الموريسكيين الذين ارتدوا الى الاسلام من جديد ، ونتيجة لذلك فقد أقامت السلطات الكاثوليكية محاكم التنكيل والتعذيب •

وفى القرن الثامن عشر لم يعثر الا على عدد قليل من الذين عاودوا الدخول فى الاسلام ، ويقال أن الأقلية الموريسكية قد اختفت وامتزجت بالمجتمع المسيحى وأن الأثر الموريسكى أصبح ذكرى تتغنى بها الأجيال وتترحم على أرواحهم وتفتخر بشجاعتهم وبسالتهم وقوة ايمانهم التى لا نظير لها •

---

(٣٦) انظـــر :

Historia ed. Planeta 4 Gran Encic. Sevilla. P. C. A.



القسم الثانى : أدب الموريسكيين

حين نتحدث عن الأدب الأعجمى الموريسكى فاننا نقصد به أدب أواخر الأندلسيين الاسبان المسلمين الذين بقوا فى أسبانيا[٣٧] • وعلى الرغم من مطاردتهم واضطهادهم الا أنهم قاموا بنشاط أدبى هام ، وكتبوا هذا الأدب ليحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم الدينية ، لكى تتوارثها الأجيال من بعدهم من خلال هذا الأدب المعروف « بالأدب الأعجمى الموريسكى » وهو أدب المستعجمين حيث يذكر الدكتور حسين مؤنس أنه أدب أواخر المسلمين المجهول فى أسبانيا المكتوب باللغة الأعجمية ، أى اللغة القشتالية (الأسبانية) ، ولكن بأحرف عربية[٣٨] • ومضمون هذا الأدب روحا وقلبا وفكرا يصور بعض موضوعات دينية اسلامية وأحداث تاريخية وأساطير وحكايات شعبية وقصص وأشعار سنتحدث عنها فيما بعد •

والأدب الموريسكى أدب الأقلية المضطهدة ، أو هو « أدب المقاومة » على حد تعبير المستشرق الأسبانى بجامعة مورسية الفونسو قرمونه جونثالث A. C. Gonzáles • أنه أدب المسلمين الأسبان ، كتبوه فى ذلك المناخ المعادى الارهابى من جانب السلطات الاسبانية بعد سقوط

---

(٣٧) لقى تاريخ الموريسكيين عناية كبيرة من جانب المتخصصين الاسبان والأوربيين ، وفى الجزء الاول من هذا البحث المنشورة بهذه المجلة فى العدد الخامس صفحات ٨٣ — ١٥٥ قد اشرت فيها الى هذه المؤلفات والبيليوجرافيا المتخصصة فى هذا المجال ، وفى هذا الجزء الثانى من البحث الخاص « بادب الموريسكيين » نأمل ان نكون قد وفقنا فى ذكر اهم المصادر والمراجع التى يمكن الاعتماد عليها .

(٣٨) انظر د. حسين مؤنس : **تاريخ الفكر الاندلسى** ، لانجيل جونثالث بالنسيا ، والجزء الثانى من « ادب المستعجمين » ص ٥٠٦ — ٥٢٩ محمد عبد الله عنان : **نهاية الأندلس** واخيرا انور شحنة : **تاريخ اسبانيا الاسلامية** ، الطبعة الاسبانية .

غرناطة فى أيدى الكاثوليك سنة ١٤٩٢ م ، وظل حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وان استمر تأثيره بعد ذلك واضحا فى الأدب الاسبانى والأوربى •

ويمثل هذا الأدب مجالا مجهولا من الآداب الأسبانية ، وتوجد نصوصه فى أكثر من ٢٥٠ مخطوطا لم ينشر معظمها • وهذه المخطوطات موجودة فى بعض المكتبات العامة والوطنية والأجنبية فى كل من اسبانيا وبعض الدول الأوربية ، ونشر — حتى الآن — جزء منها فقط • ولهذا الأدب أهمية خاصة • بالرغم من مواقف بعض مفكرين أوائل القرن التاسع عشر الميلادى وتجاهلهم له ، الا أنه فى منتصف القرن التاسع عشر وحتى هذه اللحظة بدأت العقلية الأسبانية تطرى هذه المؤلفات وتثنى عليها كثيرا ، وفى نفس الوقت بدأت هذه الكتابات والنصوص الأدبية الموريسكية تلقى عناية كبيرة ، وخاصة من بعض الباحثين والدارسين الأسبان والعرب لنشر هذا التراث وتقويمه تقويما موضوعيا ، باعتباره همزة وصل بين عصر انحطاط الأدب العربى الأسبانى فى الأندلس بعد سقوط غرناطة وبين الأدب الاسبانى الحديث منذ القرن الخامس عشر حتى يومنا هذا ، وخاصة فيما يتعلق بالقصة والرواية والأساطير والحكايات والأشعار •

ويمكن القول : أن معظم تراث هذا المجتمع الموريسكى الذى عثر عليه يرجع الى آخر فترة الوجود الموريسكى فى اسبانيا ، خصوصا بعد أن قل استخدامهم للرومانثية بصفتها أداة الاتصال واستخدامها فى كتابتهم العربية • ومن الناحية اللغوية يعلق السيد البارو جالمس رائد المتخصصين فى هذا المجال وفى هذه الفترات بالذات (السادس والسابع عشر الميلادى) ويوضح لنا ملامح هذا الأدب الأعجمى وخصائصه فيما يلى :

١ — استخدام الأدب الموريسكى لبعض الألفاظ المهجورة غير المستعملة ، وقد استخدمها المدجنون الموريسكيون الأراجونيون التى صبغت حياتهم وربطتهم بهذا الاقليم من شرق أسبانيا •

٢ — استخدام الموريسكيين للهجة الأراجونية (الأرغونية) التى جاءت نتيجة طبيعية ومنطقية لظروف حياتهم الخاصة ، ولذلك فان هذا الأدب فى معظمه أدب اقليمى على حد قوله .

٣ — وجود كثير من الكلمات ذات الأصول العربية ، وهذا أيضا أثر طبيعى للتقاليد العربية والاسلامية ، الذى كان له الأثر الكبير فى معظم الكتابات الأدبية الموريسكية . ويوجد كثير من الشواهد والأدلة والبراهين التى تؤيد قوة تأثير الكلمات والثقافة العربية ، التى كانت تؤثر تأثيرا كبيرا على المجتمع الموريسكى فى هذه الآونة بالذات .

وقد وصف الكاتب سيرافين استيبان كالديرون S. Esteban Calderón فى المحاضرة التى ألقاها بمناسبة انشاء كرسى للغة العربية فى منتدى الأتينيو بمدريد (١٢ نوفمبر ١٨٤٨) ، والتى تلخص مجمل تقويمنا لهذا الأدب فقال :

« ان هذا الأدب فيه مادة عظيمة عن العادات والتقاليد وعن القصة والرواية ، يجد فيها الباحثون والدارسون موضوعات على درجة كبيرة من الأهمية والجدية ، تخرجهم من الموضوعات التقليدية الفرنسية ، وذكر أيضا : « إن من سئم دراسة الأدب المعاصر عليه أن يفتح الأبواب عن طريق اللغة العربية للأدب الأعجمى الموريسكى ، الذى يعتبر بمثابة اكتشاف أمريكا جديدة »[٣٩] . نتيجة لذلك اهتم بعض المتخصصين بهذا الأدب الأعجمى اهتماما كبيرا من الناحية اللغوية والأدبية للتعرف على أنماط جديدة من الآداب غير المعروفة ، والتى تختلف تماما عن الآداب الأوربية التقليدية . ومضمون هذه الكتابات

---

(٣٩) Cf. Publicado en " Seminario pintoresco espanol " No. 46, pag. 365. Esta cita es recogida por M. Manzanares de Cirre, Arabistas espanoles del siglo XIX, Madrid, 1972, pag. 116.

الموريسكية والمخطوطات التى عثر عليها تعتبر قيمة أدبية ، تتفق تماما مع أصول وقواعد النقد الأدبى واللغوى فى العصر الحالى[٤٠] •

ونود أن ننبه الباحثين والدارسين لهذه الحقبة من التاريخ الموريسكى الى أنه قد عثر مؤخرا على ٢٥٠ مخطوطا موريسكيا أيضا أضيفت الى المكتبة العربية الأسبانية بمدريد لتثريها بهذا التراث العظيم ، وتمت فهرستها بفضل الكاتب والباحث الجاد الأستاذ الباروجالمس دى فونتس • وقد بدأ فعلا بعض الدارسين من الأسبان والعرب بتحقيق ودراسة بعض هذه المخطوطات تحت اشراف بعض المتخصصين فى هذا المجال • وهذا فى حد ذاته يعتبر اكتشافا علميا وأدبيا وتاريخيا هاما جدا ، ومشجعا لمثل تلك الدراسات التى كانت الكتابة فيها محظورة منذ فترة طويلة •

ولا شك أننا بهذا الاكتشاف العظيم نستطيع أن نضيف الى المكتبة الموريسكية مصادر ومراجع هامة لدراسة الأدب والتاريخ الموريسكى •

الكتابات الموريسكية اذن نصوص أدبية أعجمية مكتوبة باللغة القشتالية أو بلغة كان يتقنها الموريسكيون وهى اللغة الأعجمية ، فالموريسكى كان يعرف اللغة العربية والأعجمية كتيهما ، وهو يجيد أيضا استخدام الحروف والكلمات العربية عند كتابة اللهجة الأسبانية

---

(٤٠) انظر البارو جالمس :

A. Galmes de Fuentes : El interes literario en los escritos **Aljamiado-moriscos.** Astas del Colegio Internacional Sobre literatura aljamiado-morisca Departamento de Filolgia Románica, Facultad de Letras Universidad de Oviedo, 10-16 Julio 1972, Ed. Gredos. Pags. 189-207.

أو الرومانية[٤١] ، أى أنه عند الكتابة كانوا يكتبون باللغة الاسبانية أو الرومانية أو أى لهجة من اللهجات الاسبانية ولكن بحروف عربية • فقد تعودوا عليها لربطها باللغة العربية وبالاســلام للحفاظ على التراث العربى المجيد ، وقد احتفظ الموريسكيون بكثير من بقايا وآثار الاسلام وتعلموا العربية على أيدى آبائهم ، وعرفوها بحفظهم للقرآن الكريم • ولا شك أن معظم الانتاج الأدبى الموريسكى انتاج دينى ، وقد ترجم ونقل الموريسكيون كثيرا من الموضوعات التى تتعلق ببيئتهم الى اللغة الأعجمية[٤٢] وغالبية هــذه الأعمال نصوص دينية تهدف الى تربية الشباب تربية سليمة من أجل الحفاظ على التراث العربى الاسلامى •

ورغم بعض ما قيل عن أن معظم النصوص الموريسكية نثرية ، الا أنه يوجد كم كبير من الشعر لا بأس به كقصيدة يوسف ، وقصيدة محمد ، وقصيدة مدح البرده ، وبعض قصائد أخرى تتحدث عن سوء معاملة المسيحيين الكاثوليك للمسلمين فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ اسبانيا وسنتحدث عن بعض هذه القصائد عندما نتعرض للحديث عن الشعر الموريسكى • ومن المعروف طبقا للنصوص والمخطوطات التى تحويها المكتبة الملكية الاسبانية العربية بمدريد ، أن الموريسكيين — كما

---

(٤١) يجيد الموريسكى استخدام الحروف والكلمات العربية عند كتابة اللهجة الاسبانية والرومانية ، فهو يعرف الحروف المتحركة العربية ، وكذلك كان يستخدم حرف الباء التى تطابق فى النطق حروف b, v, p. ، وكان يستخدم ايضا حرف الثاء والجيم المشددة (ث ـ ج) ، وكذلك حرف النون الموجود فى الاسبانية واللام المشددة (LL) وحرف الشين التى تقــابل حرف الــ (x) فى اللغــة الاســبانية القــديمة ، او حرف الــ (ى) وحرف الــ (j) .

انظر انور شحنة الترجمة الاسبانية :
Historia de la Espana musulmana

(٤٢) وعلى سبيل المثال قصة باريس وفيانا :
A. Galmes de Fuentes, Historia de los amores de Paris y Viana (Edición estudio y materiales) " Coleccion de Literatura espanola aljamiado - morisca, Vol. I, Madrid : Gredos, 1970.

توضح هذه النصوص كتبها أدباء مسلمون ـ اهتموا بالمسائل الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية والمواثيق والعقود والميراث والزواج والطلاق والعقاب . واهتموا بصفة خاصة بالنواحى التاريخية والأسطورية ، وعرفوا أيضا الطب والتنجيم والسحر والشعوذة وغيره من العلوم الطبيعية . وأهم ما ينبغى أن نشير اليه هو أننا نكتشف من خلال نصوصهم النثرية والشعرية ما يدل على صدق اسلامهم ووعيهم ببعض روافد التراث العربى الاسلامى .

أولا ـ النثر الموريسكى :

من خلال دراستنا للمصادر والمراجع الأدبية الموريسكية وتعرفنا على آراء المتخصصين فى هذا المجال نتبين أن الانتاج الأدبى الأعجمى الموريسكى وفير وغنى وهام جدا ، حيث تضم بعض خزائن الموريسكيين موضوعات تتعلق بالروايات التى تعتبر من أهم النماذج الأدبية للموريسكيين . وفى اطار هذه الروايات الأعجمية نذكر الكتاب الذى نشره نيكل عن « حكاية أو حديث الملك الاسكندر »[٤٣] . والرواية الاخرى الهامة « ندم أو توبة اليائس »[٤٤] ، وهى قصة واقعية تعكس الحياة الاسبانية فى القرن السادس عشر ، وتطل بنا على حياة الترف فى مدينة

---

(٤٣) A. R. YYKL, **EL abigarrado Rekontamiento del rey Alisandeer, A compendium of Aljamiado literatures en Revue** Hispanique, Vol LXXVII, ano 1929, Pags. 404-611.

(٤٤) ينقل الدكتور حسين مؤنس فى الفكر الأندلسى صفحة ٥١٣ رأى الاستاذ اوليفر اسين الذى يصرح : « اننا نجد فى هذه القصة (توبة اليائس) ثقافة وذوقا ادبيا واصولا اسبانية خالصة اخذت عنها » . ووجد ايضا فى كتابه هذا الموريسكى الذى نجهل اسم مؤلفه اشارات لكتابات لوبى دى فيجا ، الاديب الاسبانى المعروف .

وانظر ايضا :

Jaime Oliver Asin, Un morisco de Tunez, admirador de Lope de Vega en Al-Andalus, I, 1933, Págs 409-450.

كبيرة تكثر فيها المشاهد والمناظر والمواقف العاطفية على شاطىء الوادى الكبير ، وتقدم لنا صور السهرات الرقص والحفلات والأعياد والاحتفالات . والرواية الاخرى التى لا تقل أهمية عن الأخرتين ، هى حكاية حب وعشق باريس وفيانا ، التى قام بدراستها ونشرها السيد الباروجالمس[٤٥] ، وهى احدى قصص الفروسية التى لاقت نجاحا كبيرا وانتشارا فى أوربا . ومن الأعمال الأدبية الهامة فى هذا المجال والتى تعتبر من أهم الروايات هى « كتاب المعارك » الذى قام بدراستها أيضا والتعليق عليها الأستاذ جالمس[٤٦] ، وهى عبارة عن مجموعة مؤلفات حماسية عن الفروسية والفرسان ، مليئة بالمفاجآت والعجائب والغرائب ، تحكى فى أسلوب روائى رائع جميع الغزوات الاسلامية الأولى مثل « أسطورة قصر الذهب » و « حكاية التنين مع على بن أبى طالب » وحكاية حديث على ابن أبى طالب مع الأربعين جارية[٤٧] ، وهى حكايات وقصص ذات صلة وثيقة بكتاب المعارك[٤٨] .

١ — القصة الموريسكية :

تعد القصة من أوفر الكتابات حظا فى الأدب الموريسكى[٤٩] ، وهى بدون شك أكثر أهمية من شعرهم من الناحية الأدبية ، حيث أن انتاجهم

---

(٤٥) انظر الهامش رقم ٦ .

(٤٦) A. Galmes de Fuentes, **El " Libro de las batallas " (narraciones caballerescas aljamiado moriscas),** CLEAM. II Vol, 1 estudio Literario Y, edición del texto, Vol. 2 estudio linguistico Y glcsario, Madrid, Gredos 1975.

(٤٧) انظر الدكتور حسين مؤنس ، الفكر الأندلسى ، ج ٢ ص ٥٠٦

(٤٨) كتاب المعارك الذى اشرنا اليه من قبل فى الهامش رقم ١٠ . انظر هذا المخطوط بالمجمع الملكى للتاريخ بمدريد .
Ms. de la Real Academia le la Historia, Gay, T. 18.

(٤٩) من اهم ما كتب عن القصة الموريسكية ما كتبه لوريس مورالس اوليفير :
Luis Morales Oliver, **La Novela morisca de tema Granadino,** Madrid, 1972. Publicaciones de la Universidad Complutense de Madrid (Fundación Valdecilla).

القصصى وفير جدا ومكتوب باللغة القشتالية فى موضوعات وروايات وأساطير وحكايات ذات أصل عربى ، وكلها أحاديث وأساطير شيقة وجذابة ، وكل هذه الحكايات والقصص لها مغزى روحى ودينى وتاريخى واجتماعى ونفسى عميق سواء مقتبسة أو غير مقتبسة ، فانها توضح لنا العلاقة الوثيقة بين الأدب العربى الاسلامى والأدب الأوربى الغربى ، حيث تخطت هذه القصص وكان تأثيرها واضحا خارج حدود أسبانيا مثل قصص الفروسية الموريسكية حيث ترى لمحات منها فى أقاصيص بروفنثية وفى التراث الشعبى العالمى ، وكلها موضوعات متشابه لها أصولها وتأثيرها أيضا ، وهذه مادة وفيرة ودراسة شيقة لدراسة الأدب المقارن ، أى بين الأدب الموريسكى باعتباره أدب أسبانى وعلاقته بالأدب العربى والأدب الموريسكى وعلاقته بالأدب الأوربى .

وقد اهتم الاسبان بالقصة الموريسكية وقام السيد لويس مورأليس أوليفر بنشر دراسته القيمة الجادة عن القصة الموريسكية ، وتناول فيها موضوعات هامة واختار لها عنوانا هو :

القصة الموريسكية : « موضوع غرناطى » .

وقد اهتم الاسبان بالقصة الموريسكية وقام السيد لويس مورأليس أوليفر بنشر دراسته القيمة الرائعة عن القصة الموريسكية ، الاسبانية ، حيث تعرض فيها الى أصول هذه القصة وموضوعاتها وخواصها ومميزاتها ، محاولا أن يظهر أيضا الروح المثالية التى تتخللها عناصر هذه القصة والحوار الطريف والجذاب فى أسلوب رائع ولغة سهلة وهدافة ، أضفى على هذه القصة لمسات من الجمال وتناول فيها تاريخ عائلة بنى سراج وأثرهم فى المجتمع والأدب الموريسكى » والمناخ الذى تدور فيه أحداث هذه القصة وأشخاصها ومسرحها ، وقد حاول فيها ابراز موضوعات مثيرة مثل الحب وأساليبه ، وتطرق الى الأسلوب الروائى ، وعن الحروب الأهلية فى غرناطة ، حيث حاول فيها اظهار الصفات ، التى يتسم بها كل من المجتمعين الموريسكى

الاسلامى والاسبانى المسيحى فى اطار جميل ، ومواقف جديرة بالذكر .
ويعد هذا المؤلف من أحسن ما ألف عن القصة الموريسكية ، وهو مكتوب بأسلوب سهل وجذاب ، ويستطيع القارىء من خلال هذه القصة التعرف على أحداثها والتفاعل معها وتذوقها[٥٠] .

والقصة تعد من أهم النماذج الأدبية التى خلفها الأدب الموريسكى وقصة يوسف من أهم القصص الأدبية ، التى تداولها الموريسكين ، وهى التى درسها ونشرها أرسولا كلينك ، والتى تحكى فى اسلوب شعرى قصة يوسف بن يعقوب الجزار طبقا للرواية القرآنية[٥١] ، والتى يمكن أن تكون لها علاقة وثيقة بما كتبه الكاتب الاسبانى الشهير تيرسو دى مولينا فى قصته المشهورة أيضا « الهالك لعدم ثقته فى الله » طبقا لما قاله رامون مينندث بيدال[٥٢] .

وهناك كتاب آخر وهو أسطورة الصديقين ذات السمات الشرقية[٥٣] ، وهى قصة نجدها مكررة فى رواية الدكاميرون دى بوسىثيو وحكاية أو أسطورة الفتاة كاركايونا[٥٤] بنت الملك نشراب مع اليمامة ، وهى من القصص الموريسكية التى نجد فيها موضوعات حية فى القصص الشعبية العالمية ، وموضوعها مشابه لموضوع « كتاب أبولونيو Libro de Apolonio » وأسطورة القديسة جنوفيفا دى بربانت Genoveva de Barbante وفيهما يتناول الكاتب الموضوع التقليدى عن

---

(٥٠) Ursula Klenk, **La Leyenda de Yusuf ein Aljamidado** text (Edition und Glossar), Anejo 134 de la " Zeitschrift fur romanische philologie.

(٥١) Ms. de la Biblioteca National de Madrid No. 5305

(٥٢) انظر ما قاله رامون مينندث بيدال :
Ramón Menèdez Pidal, **Espana y su historia** Vol II, Madrid 1057, Pag. 431 y sigs.

(٥٣) Ms. de la Biblioteca National de Madrid, No. 5301.

(٥٤) انظر المخطوط فى المكتبة الوطنية بمدريد رقم ٥٣١٣ و ٩٠٦٧ .

الفتاة البريئة التى اتهمت ظلما وعدوانا ، وحكم عليها بقطع يدها ، وقادوها الى غابة لتقتل أو تفنى هناك ، وهى مقتبسة من القصة الأسبانية المعروفة سالفانا أودلجادينا Silavana O. Delgadena التى كانت معروفة ومنتشرة فى اسبانيا .

وقصة أخرى ، هى قصة العربى والفتاة[٥٥] ، وهى تحكى قصة أخرى محزنة مماثلة لها ، وهى قصة طفلة كان يجب أن تذبح عقب ولادتها طبقا لطقوس السيف ، ولكنها أنقذت ونجته فى آخر لحظة ، بعد أن تدخل أبواها وأشفقا عليها ، ولكن جدها ذبحها فى الغابة أمام أبويها الوثنيين ، ثم أحياها محمد عليه الصلاة والسلام أمام أبويها اللذين ما لبثا أن أسلما حينما رأيا ما حدث .

والقصة التالية حكاية « تميم الدهر » أو « حديث تميم المختطف من دينه » وهى قصة تحكى أيضا حكاية صاحب النبى محمد ، وتصف اختطاف الجن له ونقلهم اياه الى مساكنهم . فهى رحلة هذا الصاحب الى عالم أو بلاد الجن ، وتقص كيف عادت مرة أخرى الى عالمنا ، ليشرح نتيجة تجاربه كيف كان يعيش هؤلاء الجن وهى حكاية طريفة وتبدو أجمل من قصص ألف ليلة وليلة ، فتصف لنا رحلات عجيبة فى البر والبحر وفى بلاد مجهولة ، ومن ثم فاننا نجد هذه الرحلات تدور فى عالم بين الدقيقة والخيال وما يتخلل ذلك من رؤية صوفية يراها البطل فى نومه ، فهو أدب مبتكر يذكرنا بقصص ألف ليلة وليلة .

وقصة « معجزة القمر » وفيها يقص كاتبها معجزات النبى العظيمة محمد صلى الله عليه وسلم فى وجود حضرة الملك الحبيب والذى يجعل القمر يظهر ويختفى فى نفس اللحظة ، ويجعله يهبط أيضا لينير الكعبة ويدور حولها سبع مرات ، ثم يدخل من أحد أكمام النبى صلى الله عليه وسلم ويخرج من الآخر ..

---

(٥٥) انظر المخطوط فى المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم ٤٩٥٣ .
Ms. de la Biblioteca Nacional de Madrid. No. 4953.

وأيضا قصة « المسيخ الدجال ويوم الحساب » وهى قصة مذكورة فى كتاب السمرقندى ، وقد قامت بدراستها وتحقيقها ونشرها الباحثة منثناريس دى ثيرى(٥٦) • وهذه الرواية تقص علينا ، طبقا للتفسير الاسلامى التصور الشعبى للمسيخ الدجال الذى سيظهر ليغوى الناس قبيل يوم القيامة ونهاية الحياة الدنيا •

ويقول الباروجالمس أنه بهذه الرواية نكون قد دخلنا فعلا فى مرحلة هامة من مراحل الأدب الأعجمى الموريسكى الذى يتناول موضوعات هامة ، والتى يمكن من خلالها جمع هذا التراث الذى يتعلق بالعادات والتقاليد والمعتقدات الاسلامية المتعلقة بالحياة الآخرة » • ونذكر هنا قصة « يوم الحساب » وهى مكررة فى كثير من المخطوطات الموريسكية(٥٧) ، التى تصف لنا طريق النور والمحبة وطريق الظلمات والسوء ، أو قصة الاسراء والمعراج وصعود النبى محمد الى السماء ، وكلها روايات وقصص مليئة بالخيال الخصيب غاية فى الجمال والشاعرية والروحانية حيث نرى الرسول مخترقا السموات واحدة تلو الاخرى ، ويرى بعينه كيف ينكشف الحجاب عن وجه الله ، ويشعر بيدى الله عز وجل وهى تربت على كتفى محمد رسول الله عندما يسجد لجلاله وعزته •

وهناك روايات أخرى كثيرة فى اطار الأدب الأعجمى تصور لنا شخصيات دينية من الانجيل حسب تناولها فى القرآن الكريم مضافا اليها زيادات موريسكية ، ومن هذه القصص قصة ابراهيم ، وقصة

---

(٥٦) Segun el Prof. Galmes este trabajo de Manzanares de Cirre se publicará proximamente en CLEAM, cf. A. Galmes **El interés Literario**, P. 193.

(٥٧) انظر هذه المخطوطات بالمكتبات الوطنية فى كل من باريس وفى سانت جيرمان وفى المجمع الملكى للتاريخ باسبانيا .

Mss. Bibl. Nat de Paris, 290 st. Germain Y Real Academia de la Historia, Gay, T. 17.

فداء اسماعيل ، وتعاليم موسى ، وأسطورة موسى مع الحمامة والصقر ، وموت موسى ، وقصة أيوب ، وحكاية عيسى وابن العجوز ، وعيسى والجمجمة ، وعيسى يحيى سام ابن نوح ، وروايات أخرى تدور حول حياة النبى محمد وأصحابه وأتباعه الطاهرين ، مثل « كتاب الأضواء » ، و « عبقرية محمد » وحياته وميلاده ووفاته ، وقصة الضب الذى تحدث مع محمد ، وأسطورة وموت بلال ابن رباح مؤذن الرسول ، واسلام عمر ، وحكاية سليمان الفارسى . كل هذه الحكايات والقصص والأساطير تعد نماذج رائعة من الأدب الموريسكى ، وتسجيل تصورهم لتاريخهم من خلال رؤية دينية اسلامية .

* * *

٢ — ابن سراج والأدب الموريسكى :

تعتبر قصة ابن سراج نموذجا رائعا من الأدب الاسبانى بصفة عامة والأدب الموريسكى بصفة خاصة فى العصور الذهبية ، حيث لاقت شعبية وقبولا حسنا ، وفى الوقت نفسه كانت نقطة انطلاق لظهور نوع من الأدب أطلق عليه « الموريسكى » وقد كان موضوعه الأساسى هو الكرم ، وقد طبعت هذه القصة ، التى لها عدة طبعات : الأولى سنة ١٥٦١ م والأخريان سنة ١٥٦٢ — ١٥٦٥ م . والطبعة الأولى مهداه الى السـيد خيرونومو خيمنث دى آمبون صاحب باربولس Senor de Bárboles وهو مكان تجمع الموريسكيين ، وهو يقدم نصا تدور أحداثه فى مملكة أراجون ، وهذا النص مكتوب بالاسبانية وبه بعض الألفاظ والتعبيرات الدارجة بأسلوب لغوى مزدوج . والقصة تدور أحداثها كما لو كانت حقيقة ، وعبارتها فى منتهى الدقة ، فلها سحرها ولها خاصيتها كما لو كانت قد أعدت لجمهور له ذوق خاص وحس مرهف ورفيع .

والطبعات الثلاث لهذه القصة زادت من قيمتها الأدبية ، والأشخاص الثلاثة الأساسيون الذين تدور حولهم هذه القصة هم : ابن دراج ،

وورود ريجو دى نارفايس وخريفة ، اكتسبوا شعبية كبيرة لدرجة أن سيرفنتس ذكر ابن دراج فى روايته الشهيرة « دون كيشوت » أو « دون كيخوت » ويعترف سيرفنتس بأن رواية ابن دراج تعد من الأعمال الأدبية الشهيرة والمعروفة ولها قيمتها الأدبية فى عصره ، وقد ذاعت شهرتها أيضا فى فرنسا • ومن المعروف أن فرنسا استقبلت عددا من المهاجرين الموريسكيين عندما طردتهم السلطات الكاثوليكية الاسبانية •

ولقد كانت آخر فترة الاسترداد الاسبانى بما فيها من حروب ومعاناة للمسلمين من الكاثوليكيين وتفاقم الصراع بينهما الى أن انحصر وجود المسلمين فى غرناطة ، آخر معاقل المسلمين • وقد نتج عن كل هذه الصراعات موضوعات شتى بين الخيانة والكرم والشجاعة والقسوة والنبل وكان كل هذا يشكل مادة وفيرة للكتاب والأدباء •

(أ) القصة عند ابن سراج نموذج أدبى قصصى :

تعد رواية ابن سراج من القصص الأدبية التاريخية المعروفة ، وتحكى قصة رجل مشهور من أسرة نبيلة • وتدور أحداث القصة على الحدود مع غرناطة العربية فى الأندلس • وتروى أحداث القصة فى اسلوب رائع بديع بشكل موضوعى ، وهى تعد من النماذج النثرية الفريدة ، وقد أستخدم فيها لغة سهلة وبسيطة يفهمها الجميع وتسمح لجمهور غفير من الناس أن يستمتع بقراءتها وبتذوقها • ونجد فى هذه القصة ما يساعدنا على معرفة التاريخ من وجهة النظر الأدبية •

ومن المواضيع الهامة التى تعالجها هذه القصة كما ذكرنا موضوع الكرم ، فالقصة فى حد ذاتها تقدم لنا دروسا عظيمة فى الاغداق والكرم• وأشخاصها يتنافسون ويتصارعون بسبب الدين والكرم ، وأحسن تعليق عليها ما قاله نارفايس Narvaés وهو أنها عمل مشترك وكريم يبرز العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى المعارك • فموضوع الكرم يظهر كعنصر أساسى وهام فى القصة وموضوع الشفقة والعمل الطيب أيضا

الذى يتمثل فى « الزكاة » وفى هذه القصة نلمس أيضا القيمة الحقيقية للمثل والمبادىء للفارس العربى والمسيحى على السواء ، وصفات أخرى نلمسها من خلال قراءتنا ودراستنا لهذه القصة مثل الشجاعة والفروسية والصبر والمعاملة الحسنة والنبل ومعاملة الاسير الطيبة وما الى ذلك[٥٨] .

(ب) علاقة القصة الموريسيكية بالرومنثيات :

تلاحظ عند قراءتنا لقصة ابن سراج أن بها بعض عناصر رومانثية ، ولكن لابد أن نعرف الفرق بين الرومانثى القديم وهو ما قبل ابن سراج والرومانثى الجديد أو الحديث ، فهناك علاقة وطيدة بين قصة ابن سراج والرومانثى الجديد . وقد كان أدب الرومانثى الموريسكى أدب الرعاة ، وهو يتحقق فى الشعر الشائع فى هذه الفترة من ١٥٨٠ م الى ١٦٠٠ م .

وقد كان لقصة ابن سراج أهمية كبيرة وانتشار عظيم ، اذ حازت اعجاب القارىء الاسبانى بصفة عامة . وكتب عنها « خوان تيموندا دراسته :

ابن سراج ورد العشق El Abencerraje de rosa de Amores كما كتب أيضا بدروباديا دراسته عن ابن سراج صاحب بدروباديا El Abencerraje de P. de Padilla وظهرت أيضا أشعار رومانثية موريسكية ورومنثيات راقصة ، كانت تقدم الجمهور على المسرح ، وبعد ذلك ظهرت أشعار رومانثيا ليس لها علاقة بالقصة وهى أشعار عاطفية ، تحكى عن غرناطة العظيمة الساحرة والغنية . وبعد مرور فترات طويلة بعد القرن الخامس عشر ، كان من صفات الكتاب الرومانتيكيين العودة الى مصادر العصور الوسطى ، ولذلك اهتموا مرة أخرى بموضوع ابن سراج

---

(٥٨) انظر القصة الموريسكية عند لويس موراليس اوليفر التى اشرنا اليها من قبل .

لدرجــة أنه فى فرنســا ، ظهرت أعمال أدبية لكل من شاتيه برياند Chateau Briand, **Les aventures du dernier Sbrencerraje** (1826). وفى نفس الوقت كان دور النقاد فى القرن التاسع عشر هو ايجاد العلاقة التى تربط بين النصوص الأولية لابن سراج فى أسبانيا فى سنة ١٨٢١ . وكانت من ضمن الأعمال العظيمة فى هذه الفترة ظهور كتاب خوسيه أنطونيو كوندى : الغـزو العربى لاسبانيا La Dominación de los Arabes en Espana وقد علق بارتولوميه خوسيه جياردو على قصة ابن سراج بهذه الكلمات :

« تعد قصة ابن سراج من الأعمال الأدبية الأصيلة لما تمتاز به من سلاسة ورقة فى المشاعر والأحاسيس ، التى يندر وجودها بوفرة فى قصصنا الأدبية ، لأنها تفوق فى التعبير وفى الاتقان واختيار الكلمات والذوق الأدبى الرفيع ، ولم يلاق عمل أدبى آخر مثل هذا النجاح والتقدير الذى حظيت به قصة ابن سراج » .

وتمثل هذه القصة الأدب الموريسكى فى كل زمانه ، حيث تركت أثرا كبيرا فى الأدب الاسبانى والأوربى ، بل أن هذا العمل الادبى الرفيع كان مرحلة انطلاق هذا النــوع من الادب الذى أطلق عليه « موريسكى » لأنه من أهم النماذج النثرية الأدبية ، لما يميزه من ملامح خاصة تفرده عما نجده فى بعض الآداب الاخرى .

ولا يمكن دراسة ابن سراج بمعزل عن سمات الرومانثية فى القرنين الخامس والسادس عشر التى ساعدت دون شك على تكوين الأدب الموريسكى ، ونجد مثالا لذلك فى بعض الرومنثيات مثل سقوط أنتقيره La toma de Antequera والتى عرفناها بعد ذلك فى الأدب الرومانثى العام سنة ١٦٠٠ م ، ومن الملاحظ فى هذه القصة (ابن سراج) أن أشخاصها عملوا على أن ينتصر السلام والمحبة ، بالرغم من الخلافات والحروب والصراعات فى أسلوب أدبى جميل رائع وراق .

كل هذه المؤلفات والكتابات كانت متداولة بين الموريسكيين وعرفوها

ودرسوها ، وان دلت على شيء ، فانما تدل على مدى أهميـــة تراث الموريسكيين ومؤلفاتهم كمرجع هام من مراجع الأدب الاسبانى بصفة خاصة والأدب العربى بصفة عامة ، ويؤكد فى نفس الوقت على وجود علاقة متينة ووثيقة تربط الأدب الموريسكى بالأدب الاسبانى والأدب العربى ، ومثال ذلك قصة يوسف الجزار التى عرفناها فى الأدب الموريسكى وعلاقتها بالأدب الاسبانى كما أشرنا من قبل ، وقصة الجارية كاركايون La Doncella Carcayona من المؤلفات الأدبيـــة الفلكورية الشعبية الهامة وهى من أصل شرقى ومن الموضوعات التى لاقت شعبية وأهمية خاصة فى الآداب الرومانية والعالمية ، وهناك أمثلة عديدة يمكن الرجوع اليها لتوضيح العلاقة التى تربط الأدب الموريسكى وبين الأدب الاسبانى العربى[٥٩] ، والدليل على ذلك اسم لسيفين شهرين مذكورين فى أغنية رولان أو شانســـون دى رولان Chanson de Roland احـــداهما almace y la Espada ودوراندیل Durandel . وهما من أصـــل عربى كما أشار السيد جالس[٦٠] أى أن كلمة almace يمكن أن تكون هى نفسها الكلمة العربية almás أى « الماس » ، أما بالنسبة لكلمة

---

(٥٩) قصة الجارية اركايونا او كركايونا بنت الملك نشراب مع اليمامة ، وهى قصة تقليدية مكررة فى الادب الموريسكى ، وهى من القصص الموريسكية الشعبية المتكررة فى الآداب العالمية ايضا .

Historia de la Doncella circasiana. Este es el recontamiento de la doncella carcasiana, ficha del rey Nachrib con la paloma.

(٦٠) A. Galmes de Fuente : **Les nums d' Almace et cels de Durandal** " (, a Chanson de Roland " V. 2143). **Probable origen árabe del nombre de las dos famosas espadas en** " studia Hispànica in honorem, R. Lapesa " Madrid, 1972, pags. 229-4 sigs.

A. Galmes de Fuente : " **El interés Lit. en los escritos altamiado maorisco** ", CLR 10, 2 p. 207.

Durandel فمن المحتمل أيضا أن تكون du - L - andar سيف البطل عنترة(٦١) . كل هذا يجعلنا نتساءل ما العلاقة التى تربط بين الكتابات الأعجمية الموريسكية فى القرون الخامس والسادس والسابع عشر والملحمة الرومانية فى العصور الوسطى . هذا السؤال لابد أن نعتنى به ونحاول جاهدين اثبات هذه العلاقة من خلال دراستنا لكل الكتابات الموريسكية . والكتابت والروايات الرومانية فى العصر الوسيط الاسبانى ، توضح مدى العلاقة بين كل من هذين الأدبين وعلاقتهما بالآداب الأوربية بصفة عامة .

* * *

٣ — أدب الزهد والتصوف عند الموريسكيين :

أهم نص مقدس عرفه الموريسكيون هو القرآن الكريم باعتباره أقيم كتاب مقدس عندهم ، فقرأوه ونسخوه وحفظوه وترجموه الى لغتهم الأعجمية وقاموا بتفسير كثير من آياته والتعليق عليها . كذلك اهتم الموريسكيون أيضا بالأحاديث النبوية الشريفة وبالفرائض الدينية وكتبوا وألفوا مواضيع تتعلق بفصول السنة وبالطب استمدوها من العلماء

---

(٦١) عرفنا من خلال ملاحم الأعاجم الاسطورية فى كتاب المعارك الذى يفتح الطريق لفهم بعض مظاهر تأثير الحكايات العربية ، وفى الوقت نفسه يحدد العلاقة بين الحكايات العربية والملحمة الاسبانية ، اى ان هناك خصائص تجمع بين النوعين ، وتأثير الحكايات العربية لا يقتصر فقط على الملاحم الاسبانية ولكنه يشمل الملحمة الفرنسية ايضا كما أوضحنا فى دراستنا . فنجد مثلا فى قصة عنترة العربية ان البطل عندما يقع جريحا جرح الموت يحاول ان يحطم سيفه فى صخرة ليتحاشى ان يقع فى أيدى اعدائه ، ولكن الصخرة تنشق بينما يبقى السيف سليما دون ان يمسه سوء .

وهذه القصص دون شك تحدد العلاقة التى توجد بين الكتابات الأعجمية الموريسكية وبين الملاحم والأساطير الرومانية فى العصور الوسطى وخاصة فى القرون الخامس والسادس والسابع عشر الميلادى .

الأندلسيين أمثـال الرازى وابن سـينا • وقد اعتمدوا فى أفكارهم ودراستهم على النصوص والآيات القرآنية ، وكتبوا قصيدة فى مدح البردة التى ألفها محمد ابن سعيد سنة ١٢٩٤ ، وهذه القصيدة شائعة ومعروفة بين الموريسكيون أيضا « بكتاب السمرقندى » واعتبروه خير دليل للمسلم فيه نصائح وارشادات موجهة للمسلمين يوم لقائهم مع ربهم يوم الحساب ، وفيه أيضا شرح كيفية أحوال الناس فى الجنة والنار ، ونصائح أخرى لعمل الخير وتجنب الشر وطاعة الوالدين وحقوق الابن وعن غريمة الخمر ولحم الخنزير ، والشفقة والرحمة وعن الموت والخوف من الله وحق الزوجات ، وموضوعات كثيرة من عمق الدين الاسلامى وتعاليمه • والموريسكيون بطبيعتهم مسالمون • ونظرا للمعاناة والمآسى والمظالم والمصائب التى لحقت بهم من جراء التعسف الدينى من السلطات الكاثوليكية الاسبانية ، فقد كانوا يرون فى الاتراك وفى قوة سلاحهم أملا للخلاص وخاصة وأن أوربا كانت تخشى فى القرن السادس عشر الميلادى قوة الاتراك وخطرهم الداهم على مشارف السواحل والشواطىء الأوربية يقترب وقد شجعهم هذا على أن يقولوا كلمتهم ويعلنوا الحرب ويطالبوا بتدمير اسبانيا على أيدى الاتراك ، فتداولت بينهم الكتابات والاعلانات والمنشورات ليس هذا فقط ، بل لجأوا الى وسائل أخرى مثل السحر ، لعله يكون فيه الخلاص من شر الاسبان وظلمهم ، فمن بين هذه الكتب التى كانت متداولة فى هذا الشأن «كتاب الأقوال العجيبة» الذى يقوم الآن باعداده ودراسته السيد فرناندو دى لاجرنخا أستاذ اللغة العربية بجامعة الكمبلوتنسى بمدريد ، وهذا الكتاب له أهمية خاصة ، حيث يتناول عرضا لبعض الوصفات السحرية والطرق والمعاملات والرموز والتنبوءات والشعوذة بكل أنواعها ، لها أغراض كثيرة وهامة ، وكتاب آخر هو « كتاب الحظ » ، الذى يشرح فيه الوصول الى النتيجة الطيبة أو عكس ذلك ، لأى أمر من الأمور والمسائل والموضوعات التى يقوم بها الأفراد • ونظرا للصراع الدينى بين الموريسكيون والمسيحيين الكاثوليك الاسبان ، فقد نتج عن ذلك أدب وفير له طابع دينى ضـد المسيحيين واليهود ، وقد قام بدراسة هذا النوع من الأدب كل من

لويس ودينس كارديلاك . وللحفاظ على التراث الاسلامى ، فقد كتب الموريسكيون كثيرا من الأعمال الأدبية التى تتعلق بالعقائد والأسس التى يرتكز عليه الدين الاسلامى متبعين فى ذلك المذهب المالكى بوصفه المذهب السائد فى كل من افريقيا وأسبانيا الاسلامية ، هذا بجانب شرح بعض المذاهب الاخرى مثل مذهب أبو حنيفة وهو المذهب الذى سار على نهجه الاتراك والذى كان يعتمد أكثر على العقل .

ومن خلال الكتابات الدينية واهتمامات الموريسكيين بالدين الاسلامى وبمذاهبه وعقائده ، نتج عن هذا ظهور أدب جديد جيد ، وهو أدب الزهد والتصوف مثل الكتابات المعروفة تحت اسم Mancebo de Arévalo والتى منها التفسير Tafcira أو عرض لأفكار ونظريات وعقائد ومذاهب وعادات وتقاليد اسلامية ، وأيضا كتابات دينية أخرى طبقا لمدرسة الغزالى وكتاب صوفيين آخرين . ولاشك أن هذه الكتابات لها أهمية لمعرفة التاريخ والعقائد الدينية للموريسكيين الاسبان خلال القرن السادس عشر ، كما أشار الى ذلك الكاتب الأمريكى L. P. Harvey فى بحثه(٦٢) .

ويمكن القول بأن الموضوعات الدينية والتشريعات والقانونية الموريسكية كثيرة ولا يمكن فصلها بأى حال من الأحوال عن هذا النوع من الأدب ، وهذا واضح من قراءة المجموعة المعروفة بالتفسير أو التفسيرة ومؤلفها الفتى أو الرفيق أريبالو والتى نلمح فيها — حسب قول حسين مؤنس — أثر آراء الغزالى فى التفسير والسنة . وعلى كل حال فالأدب القانونى والتشريعى ممثل فى الأدب الموريسكى بشكل واضح وهام ، ويجىء فى شكل مواثيق وعقود وشروط تبين وتوضح بعض المسائل القانونية والتشريعية الخاصة بنشاط الموريسكيين

---

(٦٢) الباحث الأمريكى هارفى يعد واحدا من الباحثين الهامين فى دراسة الادب الاعجمى الموريسكى ، وله مؤلفات كثيرة فى هذا المجال .

التجارى والاقتصادى والزراعى والاجتماعى مثل البيع والشراء والايجارات والعقارات والتركات والزواج والطلاق وخلافه من الموضوعات التى تهم الموريسكيون وحياتهم اليومية والاجتماعية والدينية ، هذه المادة قد أسعدنا بدراستها ونشرها W. Hoenerbach المستشرق الألمانى بجامعة هانوفر[٦٣] ، وهى تعكس صورة من صور الحياة المدنية الواقعية الحقيقية للموريسكيين ، ولتوثيق هذه الموضوعات اعتمد اعتمادا أساسيا وكليا على المؤلفات الموريسكية .

ومن أهم المراجع والمصادر الموريسكية قانون الموريسكيون ley de los moros الذى نشره جيانجوس[٦٤] الذى قام بدراسته وتحليله والتعليق عليه الباحث الاسبانى لويس فلوريانو تحت اشراف الاستاذ الباروجالس وفيها موضوعات هامة عن كل ما يتعلق بالقانون المنظم لحياة الموريسكيين . ويبدأ كتابه بالحديث عن الدين والايمان والقرآن الكريم والصلاة وخير الكلام عن الأنبياء والصالحين ويذكر لنا فى أول الكتاب أيضا ما دفعه الى تأليفه ويحكى لنا كيف اجتمع بنفر من المسلمين فهم سبعة من العلماء تذكروا سوء أحوال المسلمين وعن أمورهم وتحدثوا فى أمور الدين وكتبوا عن الموريسكيين قصص وتحدث عنهم وعن أخبارهم .

* * *

(٦٣) Cf. W. Hoenerbach spanish - **Islamische Urkunden aus der zeit de Nasriden und Moriscos**, Bonn, 1965.

(٦٤) Cf. Pascual de Gayagos, " **Memorial Histórico Espanol**, Vol. V. Madrid 1853, Págs. 11-246.

٤ — أدب الرحــلات :

كان لأدب الرحلات نصيب كبير فى الأدب الموريسكى وكتاباته • ونشير هنا فقط وباختصار شديد الى نصين فى مخطوط موجود بمكتبة باريس الوطنية[٦٥] • وقد أعدت رسالة دكتوراه عن هذا المخطوط الباحثة مريسدس سانش تحت اشراف الأستاذ الباروجالمس[٦٦] تحت عنوان « الطريق من اسبانيا الى تركيا » وهو من الكتابات القيمة التى تتضمن توجيهات وارشادات ونصائح هامة ولطيفة للمسافرين من الموريسكيين ، ومن أهمها مراعاة تزويد المسافر بالامدادات والضروريات الأساسية لهذه المرحلة ، وحديث عن المخاطر والطرق الوعرة الشاقة التى سوف يلقاها المســافر فى رحلته أو فى طريقــه • وفى نفس الوقت يذكر لنا الاستقبال الهائل العظيم للموريسكيين الذين يرحلون وينتقلون من مدينة الى أخرى ، وارشادات وتوجيهات خاصة بتغيير العملة والموانى الهامة التى يمكن أن ترسو فيها سفنهم ليستريحوا ويقلعوا منها الى موانىء أخرى ، وأهم السبل هى التى تساعد المسافر على أن يهتــدى الى الطريق السليم والسلوك الحميد • وقد نشر الاستاذ ميجيل ابيالثا M. Epalza حكايتين من حكايات الحجاج ضمن نوع من الأدب العربى المسمى بأدب الرحلات ، يقص علينا القصــة الأولى قصة حاج من طرطوشة ذهب الى مكة ، وهو فى الطريق قبض عليه المسيحيون وحملوه

---

(٦٥) انظر هذا المخطوط فى المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٩٠ سان جيرمان .

(٦٦) لم تخل المخطوطات من ذكر بعض النصوص والكتابات الخاصة بادب الرحلات ، حيث يوجد مخطوط فى المكتبة الوطنية بباريس يشير فيه الى رحلة من اسبانيا الى تركيا واهم ما فيها هــو النصائح والارشادات والتعليمات التى يجب أن يتبعها المســافر والأماكن التى يمكن زيارتها والاقامة فيها .

الى جزيرة ميوركة وأنقذوه الموريسكيون وأعادوه الى أرضه طركونة ولاردة[٦٧] .

* * *

ثانيا ــ الشعر الموريســكي :

الموريسكيون بحكم كونهم شعبا صبورا مكافحا مغلوبا على أمره ، عانوا الكثير ، وقاسوا ألوان الاضطهاد والعذاب من المسيحيين الكاثوليك ، حيث يعجبهم لــون خاص من الكتابات التى تمتاز بالذوق والحس المرهف ، تساعدهم على أن يشقوا طريقهم ويفتح لهم أبواب الأمل وتخرجهم من أزمتهم ، فكتبوا واستعملوا اللغة الخميادوا أو الأعجمية الموريسكية فى آدابهم من أجل التعبير عن أفكارهم سواء فى النثر أو النظم ، فقد كان من بينهم شعراء مجيدون ، من أشهرهم محمد ربضان أو الراعى ، وقد عاش فى القرن السابع عشر وأصله من روطة خالون من أراجون وله منظومات كثيرة وقصائد قصصية وأخرى دينية ، ومن أهم آثارهم هذه الأشعار : « قصيدة يوسف » حسب ما جاء فى التوراه ، وطبقا لما ورد فى القرآن الكريم وخاصة السورة رقم (١٢) أى « سورة يوسف » ، التى تتضمن معلومات أكثر شمولية ، وقد قام بدراسة هذه الأشعار وتحليلها بدقة السيد مينندث بيدال الكاتب والمؤرخ الاسبانى الشهير[٦٨] . وهذه الأشعار لا تقل أهمية من ناحية الجودة الشعرية عن شعر بيرثيو أو غيره من مؤلفى مستير دى كليرثيا ، فمثلا نرى عندما

---

(٦٧) انظر ما كتبه الأستاذ ميجيل ابيالثا :

M. de. Epatza **Dos relatos moriscos bilingués (àrabe y caslellano) de viajes a Oriente** (1395 Y 1407 - 1412), Madrid, Instituto Hispano-Arabe de Cultura.

(٦٨) Cf. Ramón Menéndez Pidal., **Pcema de Yusuf (Materiales para su estudio)**, 2 ed. Universidad de Granada, 1952.

يتمكن أخوة يوسف من الحصول على اذن الأب وافق لهم لكى يأخذوه معهم ويقول الشاعر :

لكثرة ما قالوه من كلمات التقوى
A tanto dixiyeron de palabras piayadosas
ولكثرة ما وعدوه بكلمات معسولة
A tanto le prometiyeron de palabras
رق يعقوب وأعطاهم الطفــل
K-el les diyo el nino dexoles
وحدد لهم ساعة العــودة
Ke lo Katase Allah Susoras
ودعا الله ألا يوقعه فى
de manos en-ganosas
أيدى الخادعين(٦٩)

وفى نفس القرن الذى ظهرت فيه قصيدة يوسف ، عرفنا أيضا قصيدة أخرى فى مدح النبى محمد ، تبدأ بمدح الرسول بأيات مقتبسة من القرآن الكريم وهى قصيدة لا تقل أهمية عن قصيدة يوسف وتعرف باسم « رباعيات المدحة النبوية » التى ترجع الى القرن الرابع عشر ، التى نشرها جايانجوس ، ترجمة تيكتور ومطلعها هو :

Lawlo ores son ad allah, el
alto verdadero, onrado y
cumplido Senor muy derechero
sennor de todo: uno solo y senero
Franco, poderso, ordenador certero

الحمد لله المتعال الحــق
ذى الجلال والكمال وهو رب عادل
رب كل شىء ، واحد أحد وذو سيادة
صريح قوى صاحب الامر ، لاشك فيه

---

(٦٩) Op. Cit., Pàgs. 52-53.

وهذه القصيدة التالية ألفها محمد ربضان وأصله من روطه سنة ١٦٠٣ « تاريخ نسب محمد » وقد وضعها فى شعر اسبانى ضمنه ماورد فى كتاب للحسن البصرى عن النسب النبوى ، ويصف فيها عزرائيل ملك الموت عندما بعثه الله لينذر ابراهيم الخليل(٧٠) .

Yo soy quien mi nombre teman — أنا الذى يخشون اسمى
cuanto memoran mi nombre, — عنـــدما ينطقون بـــه
desde las mas baxa tierra — من أســـفل الاراضـــين
hasta las mas altas torres — الى الأبراج العالية الشاهقة
Yo soy el que nadi esenta — أنا الذى لا يفلت أحد
de mis amargas pasiones; — من رغبتى المـــريرة
a todos los hago iguales a las grandes y — لا أفرق بين الجميع
de mis amargas pa. — كبـــارا وصـــــغارا
من فلاح بسيط الى امبراطور
menores, .desde el mas alto rey a las
mas baxos pastores — عظيم ومن أبسط الرعـــاة
yo soy la sola atalaya, que a — الى أعظـــم الملـــوك
mi vista no se asconde — أنا الطليعة الوحيـــدة
الذى يغيب عن بصرى مخلوق له روح
criatura que alma tenga, ni cosa que
vida goce; el que las copiasas huestes — ولا أى شىء به حيـــاة
acabe des-hace y rompe, — أنا من يفنى الجيوش الجرارة
الفناء والتشتيت والانكســـار
y el que los cuerpos des-poje — أنا الذى أجـــرد الاجســـام
de sus amados arrohes — من أرواحها العـــزيزة(٧١)

---

(٧٠) Cf. G. Ticknor. **Historie de la literature Espánola.** VoL IV, Madrid, 1856 Pag. 327.

(٧١) انظر المرجع السابق — الصفحة نفسها .

وكتب أيضا محمد ربضان قصة الحج الى مكة فى أبيات شعرية وأسماها « رباعيات أو مقطوعات حاج بوى منثون » Las coplas del Hichante de Puey Monçón الذى نشره ماريانو دى بانو(٧٢) .

ورحلة حاج بوى منثون رحلة حقيقية قام بها صاحبها من بلدته الى بانسيا ومنها ركب البحر الى تونس ، ثم زار مصر ووصف الأراضى المقدسة حيث زار مكة والمدينة ووصف ذلك كله فى شعر بسيط سهل ، يفيض حماسا وخيالا شاعريا(٧٣) .

وشعر محمد ربضان يمتاز بالجزالة والسهولة . وهناك شاعر آخر مجهول ، عاش فى تونس فى أوائل القرن السابع عشر واشتهر بنقده لمسرحيات لوبى دى فيجا Lope de Vega شاعر اسبانيا المعروف ، وقد كان من الموريسكيين أيضا أفضل الشعراء المهاجرين الى افريقيا ويدعى خوان الفونسو الذى كان يصوغ أشعاره فى قوالب شعر الأغانى الاسبانية الرومانثية التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، وهناك فى تطوان Tetuàn مارس شعائر الاسلام وعقائده جهرا من غير حرج ولا خوف ، وكتب قصيدة يحمل فيها على المسيحيين الكاثوليك والسلطات الاسبانية حملة شعواء .

أيها الغراب الاسبانى اللعين	Cuerbo maldito espanol
أيها الكائن الخرافى المنتن	pestifero canzerbero
أنت واقف برؤوسك الثلاث	que estas con tus tres cabezas
على باب جهنم التى تنتظرك	a la puerta del infierno

---

(٧٢) Cf. Mairano Pano. **Las coples del Pregrino de Puey Moncón. Viaje a la Meca en el Siglo XVI Zaragoza,** 1897.

(٧٣) انظر المرجع السابق — الصفحة نفسها .

وأحيانا يتهم الموريسكيون اسبانيا بهذه الكلمات :

مخلفة كل الوعود التى قطعتها على نفسـها	Quebrantadora de las cosas que juraste.

أو يصبون اتهاماتهم على رجال الدين الاسبان الكاثوليك ويصفونهم بهذه الكلمات القاسية :

ذئاب يسرقون دون شفقة	Lobos robadores, sin bonded
وشاغلهم الكبرياء والعجرفة والفسق	su oficio es soberbia y grandia
والفجور والالحاد والانكار	y luxuria y blas-femia y
والترف والطغيان والظـلم	renegonzas y pompa y vanagloria y tirania y robamiento y sin justicia

ويمكننا أيضا أن نذكر شاعرنا الموريسكى الذى عاش فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وهو محمـد الشرطوسى Mahamat al-Xartosi طبيب أمير البحر دييجو دى ميندوثا D. de Mendoza وكان ينظم أغانى بارعة وجيدة الالفاظ وغاية فى الجمال يتعرض فيها لموضـوعات تتعلق بالقـدر والاختيار بحسـب ما يقـول صاحب ديوان بيانة(٧٤) El Cancionero de Baena • وقد أجاب شاعرنا محمد الشرطوسى على سؤال وجهه اليه فيران سانشبى كالافيرا حول القدر (الجبرية) فقال :

---

(٧٤) انظر ديوان بيانة :

P. J. Pidal **El cancionero de Juan Alfonso de Baena,** Madrid 1851, Pág. 565.

الله عادل له غناية
وخالق العدالة
ومقدس لا يرضى الشر
اذن كيف سيحاكمنا ، وهو قد أمر بذلك ؟
أو أن هذا هو من صنعه وارادته
أو هذا ما وضعه الأنبياء الطاهرون الذين
أرسلهم الله الى العالمين
لاشك اذن أن الله عادل رحيم وحكيم

وهناك بعض القصائد مجهولة المؤلف تستحق الذكر ، وهى بعض المقطوعات فى اطراء الدين الاسلامى Coplas en alabanca del adin aliclam وهى مزيج من اللغتين العربية والاسبانية فى أزجال[٧٥] .

Allah ya rabi	الله يا ربى
Ya Muhamed darabi	يا محمد عربى
Ya verdadero annabi	أيها النبى الحق
de arabi de arabi	هو عربى من عربى
Es Al-Lah solo senero,	انه الله وحده رب الكون
de sin ningün aparcero,	لا مثيل له ومحمد رسوله
que todo fuwe verdadero	الله حق
i el-alicám mi adin.	والاسلام دينى
Al-Lah ya rabi,	الله يا ربى
Ya Muhammad darabi	يا محمد العربى
Ya verdadero annabi	أيها النبى الحق
de arabi de arabi	هو عربى من عربى

(٧٥) أنظر هذا المخطوط بمدرسة الدراسات العربية بمدريد .
Ms. Escuela de Estudios Arabes. L II.

وهناك شاعر اسبانى موريسكى آخر يقول[٧٦] :

لقد نام الحـــق	Razón duerme
وسهرت الخيانة	tryzion bela
وغابت العدالة	justizia falta
وسيطر الشر	Malizia Reina

وثمة شعراء موريسكيون آخرون من القرنين السادس والسابع عشر مثل الشاعر ابراهيم البلغارى (أبو الفضل) نزيل الجزائر ، وهو أعمى البصر منير القلب والذهن كتب رسالة فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية (مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بمدريد) والذى يؤكد فيه وجود الله ومطلع هذه القصيدة :

الله سبحانه وتعالى
والدليل على وجوده بالضرورة
هو وجود المخلوقات نفسها وأننا نجد
الألوان والأزمان والموت
كما نرى حياة الانسان
وحيث نرى مخلوقاته
انه لا فعل بدون فاعل
فمن هذا نفهم بوضوح
أن هذا الكائن الذى نراه
لابد له من صانع
وتوضح لنا الأبيات التالية هذه المشكلة الصعبة ..

---

(٧٦) انظر هذا المخطوط فى المكتبة الوطنية العـــامة بمدريد تحت رقم ٩٠٦٧ .

اذن فالله المختار أعطاك
بالرغم من انه لم يعطك اطلاقا
فقد خلق بالعقل
ومنحك طبيعة ممتازة
ليرى الى أى الأمرين تختار
وأيها أنسب لك
اما أن تستمتع بحياة أزلية خالدة فى الجنة
واما أن تعاقب بالخلود فى النار

ومن بين أولئك الشعراء الموريسكيون من كان يجيد النظم فى بحور الشعر الايطالية ، التى شاعت فى اسبانيا فى ذلك الحين ، واليك قطعة من « سوناتا » نظمها شاعر موريسكى حول موضوع طرد الاسبان للموريسكيين من البلاد :

Dios que a los suyos padeciendo mira
muerte en la vida y en el cuerpo in-fierno
por pecados de padres sin gobierno,
o por la causa que a su globo admira
alca la ardiente espada de su yra;

وترجمتها :

يا رب يا من ترى ما يعانيه عبادك
وهم أموات فى قيد الحياة وأجسادهم تتلظى
يتعذبون بسبب خطايا آبائهم الذين كانوا يعيشون
بغير وازع
أو لأنك تنظر الى خلقك فى رضى
ارفع حربة غضبك الحامية[٧٧] .

---

(٧٧) انظر الدكتور حسين مؤنس . **الفكر الاندلسى** ج ٢ ص ٥٢٢ .

ثالثا — سمات الأدب الموريسكى :

يغلب على الكتابات الأدبية الموريسكية الطابع التقليدى ، وهذا لا يعنى أنها أقل مرونة وتعبيرا ، فهذا النوع من الكتابات له خاصية وأسلوبه الرائع ، ويصطبغ أيضا بالصبغة الشعبية ويحتاج مؤلفوها الى ابراز الروح الجماعية . وحتى نفهم طبيعة هذا الأدب الموريسكى لابد أن نميز بين الاسلوب الفردى الشخصى ، وبين الاسلوب التقليدى الكلاسيكى الجماعى بمعنى أننا اذا أردنا فهم الاسلوب التقليدى لنص موريسكى فلابد أن تتداخل عوامل كثيرة ، تعتمد اعتمادا كبيرا على الابداع ، كما أشار كل من رامون مينندث بيدال والبارو جالمس[٧٨] ، لأن النص التقليدى يخضع — بدون شك — للتغيير والتعديل ، ويؤكد هذا الرأى الكاتب الاسبانى المعروف ارثبسترى دى هيتا A. de Hita حيث يبرز خواص النص التقليدى من خلال كتابه المعروف « الحب الطيب » El libro de buen amor وتسمية الأدب الموريسكى بتقليدى لا لكونه متشددا أو محافظا بالمعنى المعروف لدينا ، وانما لأنه أدب معبر ومؤثر وجاد وراق ، وبالرغم مما قيل عنه من عدم التنوع فى الأساليب الا أن أسلوبه يمتاز بالبساطة وروح التعبير ، الذى هو سر جاذبيته ونجاحه ، يشجع الناس للاقبال على قراءته ، ولا شك أن الموريسكيين عرفوا وقرأوا جيدا الأدب الاسبانى المسيحى فى الفترات السابقة لأدبهم الموريسكى ، بمعنى أن الأدب الموريسكى لم يكن بمعزل عن الأدب الاسبانى فى كل مراحله وتطوره السابق حتى عصرهم ، أى حتى القرن السادس عشر الميلادى ، فقد عرفوا هذا الأدب الاسبانى وتدارسوه وأقبلوا عليه ، ومثال ذلك نماذج من القصص الفروسية الموريسكية كحكاية القداد والمياسة ، ولقد اشتهرت هذه القصص خارج حدود اسبانيا ، فترى لمحات منها فى أقاصيص بروفنسية مثل العمل

---

(٧٨) Cf. Alvaro Galmes, **El interés Literavio** P. 204.

الرائع الذى عرفناه وهو باريس وفيانا (فينوس) Historia de Paris Y Viana ، وهذا العمل عبارة عن رواية تعد احدى الروايات الشهيرة فى أدب الفروسية ، وقد لاقت نجاحا وذيوعا وانتشارا فى أوربا الغربية ، وأيضا رواية « توبة البائس » El arrepentimiento del desdichado التى أشرنا اليها من قبل وهى تتضمن ذكريات عن العصر الذهبى أو أقوال الحكماء الموجودة فى الأدب التقليـدى العربى . ومن قراءتنا لأقوال الحكماء اليونان Dicho de los Sabios [٤٣] نستطيع أن نؤكد تأثرها بالأدب العربى .

ولا نجد فى هذا الأدب بالفعل ذلك التنوع الاسلوبى أو التعقيد الذى يوجد فى المؤلفات العلمية ، ولكن يغلب عليه البساطة والوضوح . وهى تمثـل كما هائلا فى حد ذاته ، لابد من الاهتمام به ، فقد عرف الموريسكيون الأدب المسيحى واستخدموه فى كتاباتهم ، وأقوال الحكماء التى توجد فى التراث العربى تشـبه أقوال الحكماء فى الفرنسـية والاسبانية . وبمجرد قراءة هذه الأمثال والحكم والأقوال للاغريقيين نستطيع أن نتعرف على مصدرها العربى ، واليك بعض النماذج :

انظر الى نفســك
وابحث الحياة فى المرآة
خذ منى هذه النصيحة
واذا حكمت فأنت جميل
دون أن يبدو عليك الهم
واذا عاملت أبويك
معاملة حسنة أو سيئة
عاملك أولادك بالمثل
اذا كانت لديك ثروة
تشترى بها معاطف
فاكسب بها أصدقاء

وفى الأدب الاسبانى مخطوطان لمؤلفين مجهولين يتحدثان عن الأمثال التى نسبت الى الحكماء ، احدهما موجود فى مكتبة القصة الملكى بمدريد تحت رقم ١٠٥ والثانى بمكتبة الاورسكوربال تحت عنوان أقوال « الحكماء والفلاسفة » وظل هـذا الأدب حيا ليس فقط بين الموريسكيين ، بل تتعدى آثاره المؤلفات الأدبية فى هذا العصر وما بعده ، ففى القرن السادس عشر ذكر رودى ميخيا فى كتابه « عدة دراسات » الجزء الرابع ، الفصل السادس ، بعض هذه الحـكم والأمثال التى يضمها المؤلف الموريسكى ذكرها بطريقة نثرية بارعة •

وأما من جهة أخرى فقد ذكرنا أن الاسطورة الأعجمية ليوسف الجزار لها علاقة بمؤلف تير سودى مولينا « الهالك لعدم ثقته فى الله » El condenado por el desconfiado طبقا لما أشـار اليـه مينندث بيدال والتى تعيد لنا أسطورة الأميرة أركايونا والموضوع شرقى الأصل وهو يدور حول الفتاة البريئة التى أتهمت كذبا ونفيت فى غابة وهـو موضوع ذاعت شهرته فى الآداب الرومانثية • وفى الأدب اللاتينى فى العصـور الوسـطى تظهـر الفتاة التى ليس لها بداية فى كتـاب « أنا فيتابريمى » الذى يوجد فى مخطوط يرجع الى القرن الثانى عشر أو النصف الأول من الثالث عشر ، كتب فى انجلترا ، وربما كان مؤلفه مانويل يارسيس • وقد انتقلت هذه الموضوعات بعد ذلك الى القصائد الروائية الفرنسية مثل « ماكير » التى ترجع الى القرن السـابع « سيبيلى » أو « الزهرة البيضاء » ، زوجة كارلوس الأكبر • وهذه القصة دون أدنى شك تمثل أقدم الأغانى التى تدور حول هذا النوع ، ويبدو أن هذه القصة أو الأسطورة قد أفادت الأدب بصفة عامة كنموذج يحتذى به مؤلف « الدقة يا ريس » التى أوحت له بكتابة حكايات أخرى من بينها حياة « الأنفس فى الغابة » ومثل (فلورنس روما وكونت بولسيتر) • وترجع قصة « بيرت بين الأقدام الكبيرة » الى الاسطورة الفرنسية « تريستان » •

ومن أنواع الأدب الموريسكى الأدب التعليمى الذى يدور حول

العقاب وهداية القارىء الى السبيل المستقيم . وهو أدب غزير فى كتابات الموريسكيين وله علاقة وطيدة بأدب العصــور الوسطى مثل « كتاب الحكم الطيبة » وتعاليم الاسكندر وعقوباته ووثائق للحياة الحسنة (وهى تعاليم سانشو الرابع ملك قشتاله لابنه) ، وهو عمل ينسب الى بدرو جوث دى اليورنث ، كاردينال أشبيليه وأسقفها فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وكتاب « حديقة الجوارى الحسان » ، الذى طبع فى بورجس سنة ١٥٠٠ ومؤلفه هو الأديب مارتينى القرطبى ، أو « كتاب التعاليم والعقوبات التى أوصى بها حكيم لابنته » وهو مؤلف مجهول ، وهناك عدد لا يحصى من النماذج الأدبية التى شاعت فى العصور الوسطى فى اسبانيا ، ولنا أن نذكر باهتمام تصوف القديس خوان دى لاكروث الذى درس مصادره ميجيل أثين بالثيوث وله علاقة وثيقة بالكتابات الدينية الموريسكية خاصة مؤلفات « الفتى أو الرفيق اريبالو » معاصر شاعر أوبيط الذى نشأ على نفس الوتيرة ، وكانت بينهما علاقة صوفية تشبه علاقة القديس خوان دى لاكروث بالقديسة تريزا التى عرفت باسم مسلمة أوبيط وهى المدينة التى مر بها شاعرنا الموريسكى لزيارتها التى عاش فيها ومات فيها القديس خوان دى لاكروث .

والخلاصة أننا نشير الى أن أساطير وملاحم وقصص الموريسكية فى كتــاب المعــارك Libro de las batallas تفتح لنا المجال لفهم بعض مظاهــر تأثير الحكايات العربية فى الملاحم الرومانية . وكتاب المعارك يبين لنا العــلاقة بين الحكايات والقصــص العربية والملحمة الاسبانية ، فلكل منهما خصائص تجمع بينهما مثل استدعاء البطــل لذاته ، وكثرة الوعود والأسماء الخاصــة بالأسلحة وحيل الحروب ومكائدها ومشاركة المرأة فى المعارك . وبجانب هــذا الكم الهائل من الكتابات النثرية ، نجد أن للشعر أيضــا خطا فى الانتاج واسهاماته الأدبية فى الأدب الموريسكى فى القرن السادس عشر ، وهذا يؤكد أن معظم النصوص الأدبية الموريسكية تمثل جزء هام فى الآداب الرومانية

فى العصور الوسطى ؛ وتظهر لنا فى شكل أدبى رائع مختلف تماما عن باقى مؤلفى الكتابات فى العصور الوسطى .

ودراسة أى نص موريسكى أعجمى يحتاج الى جدية وموضوعية وذلك لحساسية موضوعاته ، التى تطرح على القارىء بصفة عامة والاسبانى بصفة خاصة ، لأن هذه النصوص تمثل — دون شك — مرحلة هامة من مراحل حياته التاريخية والأدبية .

ونذكر هنا كمصدر من مصادر القصة الموريسكية على سبيل المثال كتاب المعارك الذى أشرنا اليه من قبل ، وهو نوع من أنواع الروايات الأعجمية الموريسكية . وغالبا ما نجد فى النص الموريسكى أهمية الضوء ، واستخدام كلمات مثل واضح واغمض والفجر ، الذهب أو بريق الأسلحة ، أو وجوه الاشخاص التى لها مغزى هام ودلالة واضحة[٧٩] .

نعود مرة أخرى لنؤكد أن أسلوب الأدب الأعجمى الموريسكى يتفق تماما مع اللغة التى تستخدم أى أن هناك توافقا بين كل منهما ، فالأسلوب لا يقتصر على نموذج شخص واحد فقط ، بل هو أسلوب جماعى ، يختلف تماما عن الأساليب الاخرى لنصوص أكثر صنعة وتكلفا .

وفى الوقت نفسه نجد أن لهجة هذه النصوص تميل الى الغموض اما عن الوصف فهو يعد من النماذج الأدبية الحقيقية داخل الاطار الشعرى وموضوعاته تعكس أحاسيس ومشاعر خاصة لانسان أو شخص أو جماعة أو شعب ؛ وعلى كل حال فهذا النوع من الأدب التقليدى

---

(٧٩) Ms. B. N. de Paris, S. Ar. num 263, Veáse ahora Alvaro G., **los dichos de Sabios de Gracia en La Literatura aljamiado,** en las actas del Congreso internacional de. F. R. de Napoles.

تكمن فيه المشاعر القوية الجياشة التى يغلب عليها الحوار المباشر . ويمكن أن يكون هذا سمة من سمات الأدب العربى أيضا ، والذى من خلاله يعطى نوعا من الحياة والحيوية على القصة والرواية ، ومن جهة أخرى نجد أن أسلوب الأدب الاعجمى الموريسكى — على ما يبدو — يبلغ أقصى درجات الحساسية ، نذكر على سبيل المثال :

كتاب المعارك الذى أشرنا اليه من قبل وهو الذى يمتاز بنبرة خاصة عميقة وحساسية قوية ، خاصة عندما يتعرض لبعض المواقف العائلية ، مثل العلاقات بين على وفاطمة أو بين فاطمة ووالدها ، أو التى بين محمد وأحفاده أو المتعلقة بالروابط وأواصر المحبة والاخلاص بين محمد وأصحابه .

كل هذا يعكس العاطفة ورقة الاحساس والمشاعر فى كلمات النبى محمد والتى تنبه وتوقظ أتباعه وترشدهم .

ومن خلال هـذه النماذج نتعرف على سياسة التسامح الدينى ويعكس النص أيضا آمال المسلمين فى مزيد من المحبة والديمقراطية ، معتمدين أساسا على العقيدة الاسلامية . وفى هذا الكتاب « كتـاب المعارك » نجد أن واعظ الملك الحارث يصرح أمام ابن عمه ببعض المسائل الهـامة[٨٠] .

ومن هذه النماذج والنصوص الأدبية يتبين لنا نوع هذا الاسلوب التلقليدى الموريسكى ، الذى يمتاز بالتلقائية وعنصر المفاجأة والواقعية ، وهو من الأعمال الأدبية التلقليدية الرومانية فى العصور الأولى ، وهو خليط بين ما هو روائى وما هو درامى ، على قدر المستطاع يتخلله أحيانا بعض مظاهر السمة الغنائية .

---

(٨٠) كتاب المعارك من اهم الكتابات الموريسكية التى اشرنا اليها من قبل وقد قام السيد البارو جالمس بدراسته والتعليق عليه .

أما فيما يختص بالأدب العلمى مثل « العقاب » وأمثلة أخـرى كثيرة فى الكتابات الموريسكية ، فنجد أنها تربط علاقة هامة بينها وبين أدب أوربا فى العصـور الوسطى[٨١] ، وهى من تأليف بدرو جومث دى البورنوث ، كاردينال وأسقف أشبيليه من القـرن الرابع عشر الميلادى ، وكذلك حديقة الفتيات النبيلات Jardin de las nobles doncellas المنشورة فى بورجس (برغش) سنة ١٥٠٠ وقد ألفها الأديب مارتينى دى قرطبة وفيها يصور العقاب والعقائد التى كان يطبقها هذا العالم مع بناته وهو كتاب لمجهول حسب قول Knust وهناك كتابات أخرى كثيرة كانت متداولة فى العصر ولا ننسى أيضا أن صوفية سان خوان دى لاكورث ، كانت تعتمد اعتمادا كليا على المصادر العربية الاسبانية أى الاندلسية التى قام بشرحها وتحليلها والتعليق عليها دون ميجيل أثين بالثيوث[٨٢] ولها علاقة وثيقـة بما كان يكتبه الموريسكيون فى هذا الشأن ، وبخاصة كتابتهم الدينية مثل المجموعة التى أشرنا اليها تحت اسم Arévalo وهو معاصر لشاعر اسبانى كانت تربطه علاقة روحية بقديسة معروفة مسلمة من مدينة أوبدة ، وهى المدينـة التى كان قد زارها الموريسـكى أريفالو Arévalo

---

(٨١) انظر الدراسة الجيدة للاستاذ البارو جالمس :

Alvaro Galmes de Fuentes. **Epica Arabe y epica castellana** Barcelona Ariel 1978 Ibid. **la Leyenda de las infantes de salas y la tradición árabe ",** en Cahiers de civilisation Medicvale, XXII 2 Abril-Julio, 1979, pp. 125-137 **Y. Len gua Y en La literatura Aljamiado-morisca,** Nueva Revista de Filologia Hispanica tomo XXX 1981. num 2. Centro de Estudios Linguisticos y literatura.

وكتب أخرى مثل : كتاب الأمثلة الطيبة وكتاب الصحة وعقاب الاسكندر وكتابات هامة ، ونصائح للعيش الرغيد ، ونصائح كثيرة عن المثل والمبادىء كل هذه الكتابات لها علاقة وثيقة بادب العصور الوسطى وفى غاية الأهمية .

(٨٢) Cf. **Un precursor hispano-musulman de San Juan de La Cruz,** en Al-Andalus, Vol. L. 1933. Págs. 779; recogids posteriormente en **Huellas del Islam,** Madrid, 1941, 235-304.

التى عاش ومات فيها خوان دى لاكروث • فى هذه المدينة وتعنى أوبدة (التى تسمى أبدة العرب عند الجغرافيين العرب والأندلسيين). وغيرها من المدن مثل Medina, Pastrana Salamanca, Granada, Alcalá, Segovilla, Avila. وهى المدن والقرى التى كانت مسرحا للأحداث ومحور حياة سان خوان دى لاكروث • وقد دلت الاحصائيات على وجود نواة ومناطق كثيرة فى هذه المدن يعيش فيها موريسكيون فى القرن السابع عشر •

وفى كتاب لجومث مينيوث بعنوان : El linaje familiar de Santa Teresa y de Juan de la Cruz, Toledo, 1970.

يشير الى أن أصل ونسب عائلة سانتا تيريزا وسان خوان لاكروث ، حيث يرى احتمال امكانية أصول ونسب سان خوان دى لاكروث الموريسكية[٨٣] •

ولا شك أن الروايات البطولية الموريسكية التى تظهر فى كتاب المعارك تؤدى الى معرفة بعض الملامح لتأثير الرواية العربية فى أدب الملاحم الرومانية ، وهذا يؤكد لنا الصلة الوثيقة بين الرواية العربية وأدب الملاحم ، حيث الملامح الواضحة التى تؤكد هذه السمات المشتركة مثل كثرة الوعود ، والقسم والكلمات التى تخص أسماء الأسلحة وخداع الحرب والأشرار ووجود المرأة فى المعركة ، والمرأة التى تنتمى الى عائلة ارستقراطية التى تواسى الأسرى ، وفكرة الحرب المقدمة نفسها وظهور جبريل والبكاء على القتلى •••• وكثير من الأمثلة والنماذج التى تؤكد هذه العلاقة •

---

(٨٣) Gomez Munoz **El Linaje Familiar de Santa Teresa Y San Juan de la Cruz,** Toledo, 1970.

Cf. **Un Precursor hispano-muslmán de San Juan de La Cruz.** P. 235.

وكما يقول البيد جالمس أن الرواية العربية لا يقتصر تأثيرها فقط على أدب الملاحم القشتالية ، بل أيضا على الأدب الفرنسى .

وهناك فى الأدب الموريسكى نوع من الأدب الفردى له خاصيته وطريقته ، وعلى سبيل المثال سوناتا لموريسكى تونسى لا يقل أهمية على أى نص أدبى من العصر الذهبى الاسبانى(٨٤) .

ولذلك فمن الصعب أن نحدد بدقة القيمة الرومانتيكية للأدب الموريسكى ، ففى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت بعض الكتابات الموريسكية ، وكان رد الفعل سلبيا من جانب المتخصصين من

---

(٨٤) ومطلع هذه القصيدة مترجمة هى :

يا رب انظر الى عبادك بشفقة المعذبين
تر الميت فى الحياة وفى الجسد النيران
لخطيئة آباء لا سلطان لهم
او لسبب قضية تحيق بهم
ارفع سيف غضبك الحاد
وكخالق وعاشق رقيق
وخالد فى الحياة وفى الانتقام
ارفع الى الراحة التقاة
ورقق قلب فرعون اسبانيا
واعطه رغم غمه طريقا فى البحر
ذى المروج الخضراء مزهرة
واعط العبقرى المهاجر
ضياء الله الذى يجعله
ازليا بين البشر الفانين
ان لم يكن الهيا .

الرومانتيكين ، ولم يلقوا اهتماما كبيرا لظهور هذا النوع من الأدب ولم يتحمسوا له ، على عكس ما حدث الآن من اهتمام كبير بكل ما هـو موريسكى ، هـذا الاهتمام الذى عبر عنه الكاتب المعروف سيرافين استيبانس فى الخطاب الذى ألقاه فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م بمناسبة افتتاح قسم الدراسات العربية بمنتدى الأتينو بمدريد »[٨٥] .

* * *

(٨٥) انظر ترجمة النص فى هذه الدراسة ص ٢ .



فهـــرس